قصائد وحكايا للمبعدين

طبع هذا الديوان
على نفقــة
السيد / عدنان يوسف العلمي
ابن غـزة البــار

قصائد للكناء والمعذبين

دار الشروق
القاهرة : ١٦ جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨
٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس :
93091 SHROK UN بيروت : ص.ب . ٨٠٦٤
هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ فاكس:
٨٦٧٥٥٥ - تلكس : SHOROK 20175 LE
الطبعة الأولى ١٩٩٨
تصميم ورسوم : محمد حجي

شعر، هارون هاشم رشيد

إهــــداء..

إليهـــــم ...

فى ليل الظلم والقهر...

إليهـــــم ...

إلى الأعزاء الذين أحبوا الوطن وافتدوه

إلى من أحبوا الحرية

وشقوا الطريق إليها

إلى كل السجناء والأسرى

فى سجون الإحتلال الظالم

بشراهم بالفجــــر

وبشراهم بالنصر

هــارون

صباح الخير للسجناء ..

(إليهم إلى كل الأسرى والسجناء
في ليل السجن الصهيوني)

(١)

صباحُ الخيرِ . .
تحملها إلى الأحبابِ
أسرابُ الحسَاسينِ
تدوُر بها مولهةً على كُلِّ الزَنازينِ
تَحُطُ على شبَابيك مُغَلَّقة
وتُنْشدُ للْمَسَاجين
وتَحْملُ شلْحَ زَنبقَة لهمْ
أو غُصْنَ زيتون
منَ الوَطَنِ الذَّي لا مثلُهُ
أحلى
منَ الوَطَنِ الفَلَسْطيني

(٢)

تَقُولُ لَهُمْ : صَبَاحُ الخيرِ

لِلْغُرِّ الميامينِ
صَبَاحُ الخيرِ مِنْ «عكا»
وَمِنْ «يافـا»
وَمِنْ ربواتِ حَطِّينِ
وَمِنْ «غزةَ»
مِنْ مسجدِها المعْمُورِ
مِنْ نَفْحِ البَساتينِ

(٢)

صباحُ الخيرِ مِنْ أهليكمو البُسطاءِ
مِنْ ليلِ المسَاكينِ
وَمِنْ أوجَاعِ مَظلُومٍ
وَمِنْ أناتِ مَحزُونِ
صباحُ الخيرِ
مِنْ توقِ النَّوى المشْبوبِ
مِنْ نبضِ الشَّرايينِ

(٤)

صباحُ الخيرِ
يا أحبابنا الأحرار
يا أملَ الملايينِ
ويا لمعَ السَّنا ، والضَّوءِ
فى ليلِ التَّشَارينِ
على ميعادِنا نبقى
على العهدِ الفلسطيني . .

القاهرة ١٩٩٧

عيني على السُّجناء

[مع كل فجر يهزم الظلام .. مع كل صباح
ينشر الأمل.. صباح الخير لهم]

(١)

عينى عليهِمْ، فى ظلامِ القَهرِ، فى السِّجن الكبيرِ
عينى عليهمْ، بينَ موقوفٍ، ومسجونٍ، ومعتقلٍ أسيرِ
عينى عليهمْ فى زنازينِ العَذَابِ المُرِّ ليلِ الزّمهريرِ
أغلى الرِّجالِ همو، وخيرةُ نسوةِ الشّعبِ الجسورِ

(٢)

أحصي، ومَنْ أحصي..؟ يتوهُ العدُّ يغرقُ فى السُّطورِ
آلاف، ما مِنْ سامعٍ صوتًا لهمْ، ما مِنْ مُجيرِ
مَا حَالهمْ..؟ لا الغوثُ يبلغُهُم، ولا صحوُ الضَّميرِ
فالنَّاسُ مشغولونَ عنهمْ فى تَصاريفِ الأمورِ
النَّاسُ مشغولونَ فى زَهوِ المناصِبِ والقُصورِ

شـغلتـهُم الدُّنيـا ، عن السُّـجناء عَنْ أغلى النُّســورِ
عَـمَّن على درب الفِـداءِ مشـوا ، على صـوتِ النَّفـيرِ
حـملوا الأمـانةَ ، صـادقينَ ، مـشـوا على لهبِ السَّعيرِ
لا الظُّلمُ أرهبـهـمْ ، ولا حــادوا عنْ الهَـدَفِ الكبـيـرِ

(٣)

عينى عليهمْ . . خاطرى ، حُبى أحاسيسى شُعورى
أهلوهمـو فى الحُـزنِ وحـدهمـو وفى القَلَقِ المُثـيـرِ
تتطاولُ الأيامُ قـاسـيـةً تَوالى بالسنينِ وبالشُّـهــورِ
مَنْ قـد رآهمْ تحت هطلِ الغـيثِ فى اليـومِ المطيـرِ؟
أومَنْ رآهمْ تحتَ عينِ الشَّـمسِ فى اليَـومِ الحَـرُورِ؟
ســاعـــات . . هُمْ فى الانتظارِ لإذن جـلادٍ غَــرُورِ

(٤)

سُـجَناءُ نَحْنُ كـمـا هُمـو ، فى القـيـدِ فى ذُلِّ المُغـيـرِ
أنفــاسُنا مـــخنوقـــةٌ ، والنَّارُ تَغلى فى الصُّــدورِ
منْ نَحْنُ فى دُنيــا التَّـخــاذلِ والتـراجعِ والغـرورِ؟
مِنْ غــيــرِ أن تعلو لنا الرَّاياتُ فى كلِّ الثُّــغــورِ

مِنْ غيرِ تحقيقِ السَّلامِ العدلِ تقريرِ المصيرِ
مِنْ غيرِ أن نلقاهمُ طلقاءَ مِنْ قيدٍ ونيرِ
مِنْ غيرِ عَودَتهمْ نظَلُّ كطائرِ الحُزنِ الكسيرِ
فَهُمو البِشَارةُ بالصَّباحِ الحُرِّ بالفجرِ المُنيرِ
ولهمْ وليسَ لغيرهمْ جُدِلَتْ أكاليلُ الزُّهُورِ

القاهرة : ١٩٩٤



عبد الهادى سليمان غنيم

وردة على جبين القدس

[عبدالهادى سليمان غنيم ابن معسكر النصيرات في قطاع غزة بطل عملية الحافلة رقم ٤٠٥ على طريق القدس الذى يواجه حكما إسرائيليا بستة عشر مؤبدا]

(١)

«اللهُ أكبرُ» . . فُجِّرَتْ تَتَرَدَّدُ
والقدسُ، شاخصةُ المآذنِ تشهدُ

«اللهُ أكبرُ» . . يوم أطلَقَها الفتى
عبرتْ إلى أم الشَّهيدِ، تُزَغرِدُ

قالتْ لها : ثاراتُنا لما تزلْ
نِبْراسَ ثَورتنا، يُضِيءُ، ويُوقِدُ

مَنْ قالَ أنَّا قد نَسينا ثأرَنا
أو أنَّنا عَنْ ثأرِنا نَتَرَدَّدُ

عينٌ بعين، لَنْ نُغَيِّرَ نَهْجَنا
سِنٌّ، بِسِنٍّ، شِرْعَةٌ تَتَجَدَّدُ

(٢)

«اللهُ أكبرُ».. يومَ فَجَّرَها الفتى
رَفَّتْ، كطيرٍ في السَّماءِ يُغرِّدُ

حَمَلَتْ جِراحاتِ الأسى، وعذابَهُ
وتنقلتْ، تَروي الحَكايا، تَسْرُدُ

مِنْ أينَ؟ مَنْ هذا الفَتى؟ ما إسمُهُ؟
ولِمَنْ أطلَ صباحُهُ المُتوقدُ؟

حملَ العذابُ شهورَهُ وسنينَهُ
وأتى كما السَّيفِ المهنَّدِ يُجْرَدُ

من شاطئ الأحزانِ، حيْثُ ترَعْرَعَتْ
روحُ البطولةِ، .. وجهُهُ المُتمردُ

ومن «النُّصيرات» الذى قاسى الفتى
لياليه، دوّى النفيرُ المُرعِدُ

إن «النُّصيراتَ» الحبيبَ مُكبَّلٌ
بسلاسلِ الغزو الرهيبِ، مُقيَّدُ

وجراحُه، لمَّا تزلْ مفتوحةً
ما مِنْ يدٍ تأسو الجراحَ تُضمِّدُ

مازالتْ الدُّورُ التى عن أهلها
سُلخت، تثيرُ حنينَهُ، وتُجدِّدُ

مازالَ: ماذا عنهُ فيضُ خواطرٍ
تَتَرى، وأفكارٌ تُثارُ وتُسْرَدُ

هو كانَ، لما أُسِّسَتْ أكواخُه
وأُقيمَ يحلمُ بالرُّجوعِ، ويُوعدُ

العـــائدونَ به على مـــيـــعـــادهمْ
يتــرقــبــونَ مــتى يحينُ الـمَــوعِــدُ

نَشَــأ التَّــلامــيــذُ الصِّــغــارُ تواليًــا
أجــيــال فى حِــضْنِ الشَّـــقــاوة تُولدُ

يتـــعـلمـــونَ صـــبـــاحَ كُلّ تـرقـبٍ
أنَّ الجِـــهـــادَ هـو الـطريـقُ الأوحـــدُ

وبـأنَّ مَــــوطِــنَـهـمْ، لـهـم أبـدًا، وإنْ
طـالَ الطَّريقُ بهم، وعَـــزَّ الـمَــقْــصِــدُ

كـــانَ الشِّــتـــاءُ يزورهمْ، فـــيــثــيــرهمْ
ويـؤرقُ الـلّيلَ الـطّويـلَ، ويُســـهــــدُ

وتـظلُّ أعـــيـنـهمْ، تـتـــابعُ قـطرةً،
فى قـطرةٍ، مِنْ قطرةٍ، تَتَـــفَــصَّـــدُ

والموتُ، منجلُ حـــاصـــدٍ مُـــســـتكلبٍ

جـــوال ينتـــزعُ الحـــيـــاةَ، ويحـــصـــدُ

عــــيشُ الــلجـــوءِ، ومَنْ يُكابدُ بؤسَـــهُ
يَـدرى لماذا الـلاجـــئـــونَ تَـمــــردوا

(٣)

هُو مِنْ «قطاعٍ»، صــامــدٍ مُـسْـتَـبْـسِلٍ
منهُ الـشَّـــرَارَةُ والـدَّوى الـمُـــرْعِـــدُ

حـــملَ الأذى زمنًا، ومـــا مِنْ مـــرةٍ
خـــانَ الأمـــانةَ شـــعـــبُـــه المتـــجلدُ

الجـــوعُ يصـــرخُ فـــيـــهِ، فى أنحـــائه
والموتُ يصـــخَـبُ ظالـمًـــا ويُعـــرْبِدُ

كَـمْ طفلةٍ غـــالوا ابتـــســـامـــةَ عُـمْـــرِها
ولكـمْ صَـــبىٍ يتـــمـــوهُ وشَـــرَّدوا

ولَكمْ ألوفٍ عوقوهمْ غيلةً،
أو كَسَّروا أطرافَهمْ، أو قَيَّدوا

«أنصارُ» ياوطنَ العروبةِ سُبَّةٌ
فى وجهِ مَنْ شَجبوا البلاءَ ونَدَّدُوا

فيهِ مِنَ الآلامِ ما لا مثلُها
عينٌ رأتْ أو أبرياءُ هُدِّدُوا

حظرُ التجّول تَحْتَهُ فى ظلِّه
يتحركُ الجيشُ المغيرُ، ويُفسدُ

أيامُهُ تمضى كما لياته،
سوداءَ حالكةً، تُذِلُ، وتُجْهِدُ

يتَقلبُ الباغونَ، كلٌّ مغامرٍ
مِنْهُمْ يُجَرِّبُ حظَّهُ ويُفندُ

ويظلُّ كالطودِ العظيمِ قطاعُنا

فى وجـــهِ من ظلمـــوا يعـــزُّ ويصْـــمـــدُ

تتناقلُ الدُّنيـــا ، حَـــديثَ شَـــقَـــائه
وثبـــاتِه وصُـــمـــودِه، وتُمَـــجِّـــدُ

(٤)

غنى صـــغـــيـــراً «عـــائدونَ» ولم يعـــدْ
وتخلفَ النُّصـــراءُ عنهُ، وحُـــيِّـــدُوا

رسم البـــلادَ بقلبِـــه وعـــيـــونه
شِـــبْـــراً، فَـــشِـــبْـــراً، بالدِّمـــاء تحُـــدَّدُ

سكنتـــهُ إنســـاناً يموجُ طُمـــوحُـــه
لغـــدٍ يُضيءُ بهِ، ويُســـعـــدهُ الغـــدُ

قَـــدْ شـــاءَها وطنًا عـــزيزاً ناعـــمًـــا
بالنَّصـــرِ يرْفِلُ، بالمحـــبـــةِ يَسْـــعَـــدُ

قـــد شـــاءَها وطنًا ترفـــرفُ فـــوقَـــهُ
أعـــلامُـــهُ، وبـهِ يُعـــزُ ويُـحْـــمَـــدُ

مـــا خـــانَهُ يومًـــا، ولا عَـنْ دربه
مـــــالتْ بـهِ ريـحٌ ولا طـاشـتْ يَـدُ

(٥)

دارَ الفـــتى، عـــينانِ فى أُفق الـدُّمـــا،
تتـــلألآنِ، وقـــد أطلَ الـمُـــوْعـــدُ

فى الاعـــتـــقـــالِ، وفى السَّـــلاسل إخـــوةٌ
من أهـلـهِ ذاقـــوا العـــذابَ وقُـــيِّـــدُوا

فـــهناك فى حِـــضْنِ «النُّصـــيـــرات» الَّذى
فى الانتظارِ حـــبـــيـــبـــةٌ تتـــوجـــدُ

هى أُمُـــهُ مَنْ أرضـــعـــتـــهُ رجـــولةً،
وبطـولةً، وبـهِ تتـــيـــهُ وتَـسْـــعَـــدُ

تَدرى، بأن طريقَــهُ ملغــومــةٌ
تَدرى. . ويدرى قلبُــهــا، ويُعــدّدُ

لكنَهــا نَذَرتْهُ مُنذُ وجــوده
لبــلاده. . وفــؤادها يتنهّــدُ

هى مــثل كُلِّ الأمــهــات تريدهُ
يهنى، ويبنى عُــشَّــهُ، ويُشــيِّــدُ

لكنَّ ظلَّ الاحــتــلال، وقــهْــرَه
ينأى بأغلى الأمنيــاتِ ويبــعُــدُ

تصــحــو تنامُ على خطى أجناده
مــحــمــومــة تُشقي الحيــاةَ وتُفْسِــدُ

الاحــتــلالُ بقــهــره، وبظلمــه
عــاتٍ يدمُــرُ فى البــلادِ يُعــربدُ

(٦)

غـــالٍ عليـــهـــا ابنهُـــا، ونَجـــيُّـــهـــا
يمضى على الدّربِ الـمَــخُــوفِ، ويُــبــعــدُ

غـــالٍ عليـــهـــا، أن يـهـــدَّمَ بَيْـــتُـــهُ
ويدمَّـــرَ العُشُ الّذى قـــد شَـــيَّـــدُوا

لكنمـــا الأغـلى عليـــهـــا أرضُـــهُ،
وترابهُ، وتـراثُـه، والمَحْـــتـِـــدُ

لكنمـــا الأغـلى بلادٌ تُفْـــتَـــدى
وتحـــرُّرٌ يُرجى، وفـــجـــرٌ يُولـدُ

كـــانتْ هديتُـــهـــا إليـــه قـــبلةً
فـــوقَ الجـــبينِ، ودمـــعـــةً تتـــجـــمـــدُ

قـــالت: على اسمِ الله خطوكَ فـــانطلقْ

تُرعى بعين اللهِ أنَّى تُوجدُ

كَبِّرْ فَللتكبيرِ في أوطاننَا
رجعٌ، كزلزالٍ، يَمُورُ ويُرعدُ

(٧)

هو في طريق القدسِ، . . وهي عروُسهُ
عِنْدَ «النُّصيراتِ» المحاصرِ تَرقُدُ

مازالَ في أحشائها من نبضهَ
أملٌ، من الحزنِ الكبير سيُولدُ

ماذا تُرى قالت لهُ، لما مضى
وبأي قلبٍ ودعتْ تَتَجَلَّدُ

هي مِثلُ، كُلُّ الباسلاتِ نسائنا
يَعرفنَ أن طريقَنا لا توُصدُ

يعـــــرفَـن أن الموتَ مِـنْ غـــــاياتِـنا
نرضى بلوعـــتـــهِ، ولا نُـسْــتَـــعْـبَـــدُ

هي قـــد رأتهُ أمـــامَـــهـــا، وجنودُهم
يتكاثرونَ عـليـــــهِ، وهو مُـــقَــــيَّــــدُ

ضَـــربُوه ظُلمًـــا بالعِـــصِي وكَـــسَّــرَوا
أضـــــلاعَ إخـــــوتِهِ ولَـمْ يتـــــرددوا

لم يَرْحَـــمــوا الشَّــيْخ الـمُــسنَّ أمـامَــه
داســـوُه، واجـــتــرأوا عليـــهِ تعـــمـــدوا

داســـوا كـــرامـــتَـــــهُ، أهانوا أهـلَهُ،
وأمـــامَ عـــينيـــهِ اســتـبـــاحُـوا واعـــتــدوا

تَـدري بأنَّ الـعـــــيشَ دون كــــرامـــــة
لا يرتضيـــهِ حـــبـيـــبُـهـــا الـمُـــتَـــمَـــرِّدُ

هي إذ تُودعـــهُ، وحـــشــرجـــةُ الأسى

فى صدرِها، من لوعةٍ تَتَرَدَّدُ

ترنو إليهِ، وفى لهيبِ عيونها
شىءٌ تُكَتِّمُهُ، فلا يَتَحَدَّدُ

شىءٌ كما الدَّمعِ الّذى من رُوحها
من قلبِها من عُمقِها يَتَفَصَّدُ

بركانُها يغلى، وأشياءٌ تُرى
متلاحقاتٍ مسرعاتٍ تُورد

صُورٌ عن الزوجِ الحبيبِ المُرتجى
يمضى كما الطَّيفِ الغريبِ، ويَبْعدُ

نهرُ الحنانِ، حبيبُها، ونجيُّها
وأبو جنينٍ فى الحَشا يَتَهَدْهَدُ

وتلفُ بالشَّال المُطهرِ رأسَه،
وتضمُّهُ، عندَ الوداعِ، تزغردُ

تَدرى بأنَ صــــغـــيـــرَهُ من غـــيـــرِه
ســـيظلُّ يســـألُ مـــوجـــعًـــا، ويُرَدِّدُ

سـيظلُّ، يســـألُ، عن أبيـــهِ تلهـــفـــاً
ويـظـلُ يـحـلـمُ بـالـلـقــــاءِ، ويُـوعَــــــدُ

ســتــقــولُ ياولدى أبوكَ قــد افــتــدى
وطـنّـا تَـنَـاوَشَــــــهُ الـذِّئـابُ الـشُّـــــرَّدُ

من أجلِ أن تحـيـا كـريمًا شـامـخـاً
ومـعـززًا، غـابَ الحـبـيـبُ السَّـيـدُ

غـــابَ الَّذى قـــد كُنتَ من أحـــلامِـــهِ
الأحلَى، وإسْـمُكَ، باسْـمِـهِ سَـيُـخَلّدُ

طَلَـبَ الشّـهـــادةَ، وهى أغلى غـــايةٍ
لأحـبـةٍ، عـشـقـوا المواطنَ وافـتـدوا

فـارفعْ جـبـينك عـاليًـا، ومُـفـاخِـراً

بأبٍ، على مَرِ الزَّمانِ سَيَخْلُدُ

(٩)

نسْرٌ غُدًا فيٌّ الجناحِ مسافرٌ
بينَ النُّجومِ جناحُه المتُوقدُ

يُعلو ويهبطُ، لا يكفُّ مَسَارُه
ويظلُّ أشرعةً تموجُ وتُفْرَدُ

وأمامَهُ، من خلفهِ، من تَحتهِ
مِنْ فوقِهِ، رَشْقُ السِّهامِ يُسَدَّدُ

ويظلُّ مِنْ دَمِهِ، يُحنِّى تُربَةً
سَمراءَ ضَمَّخَها اللّظى المتوردُ

(١٠)

هَلْ للنوارسِ، أن تَحُطُّ رحالَها
مِنْ بعدِ رحلتِها الطويلةِ تَرْقُدُ؟

هَلْ شاطئُ الأحلامِ مازالتْ بهِ

مِنْهُ، إليــــهِ لَـفْـــــتَـــــةٌ وتَـوَدُّدُ

مـــاذا أتُرخى الدَّاليـــاتُ قُطوفَـــهـــا،
وَجَــدَائلُ الصَّــفْـصَـافِ هَلْ تَتَـمَـسَّــدُ

وهل الشَّــذى الهـفْــهـافُ من لَيْـمُـونِهـا
مـــــازالَ يـنفـحُ بالأريجِ، ويَـرْفِــــدُ

مـــا لـلنوارسِ كُـلَّمـــا شَـــامتْ عـلى
بُعْـــدٍ مَـحَطٌّ رجـــائهـــا تُسْــتَـبْـعَـــدُ

هـذى طـريـقُ الـقــــــدسِ لـيَس يَـرُودُهـا
إلا الألى حـــــمـلـوا الـلـواءَ ووَحَّــــدُوا

إلا الألى حَـــفِظُوا عـــهـــودَ بقـــائهـــا
ونقـــائهـــا، وبهـــائهـــا، وتَـجَـــرَّدُوا

(١١)

هذى طريقُ القــــدسِ، من «عُـــمَـــرٍ» إلى
أبنـائنا تَــســـــمـــو بهـمْ، وتُـمَـــجَّـــدُ

مَنْ بالدمــاء الغــاليــات تَفَــجَّــرَتْ
مِنْهُـمْ يُخَــضَّبُ تُرْبُهــا ، ويُعَــمَّــدُ

القُــدْسُ عــاصــمــةٌ لَنا ، ولشَــعْــبنا
جــــيــلٌ إلى جــــيــلٍ تدومُ وتَخْلُدُ

أعــــداؤنا ، مَــنْ هَدَّمُــوا أبيـــاتَنَا
ظُلْمًــا ، ومَنْ جَــارُوا عليــهــا واعــتَــدُوا

حَلمُــوا بِهــا ، نَدْرى ، وَمِنْ أحــلامنا
ألاَّ يُقــيـــمـــوا عِنْدها ، أن يُطرَدُوا

فَــلَــنَــا مِــنَ المــاضــى ، وَمِــنْ آيــاتــه
عِــبَــرًا بوقــفــاتِ الجــهــادِ تُؤَيِّدُ

هاتوا الصَّليــبــيينَ ، هاتوا بعــدهمْ
جيشَ التَّــتَــار ، وجَــمِّــعُــوهُ ، واحْــشُــدُوا

لِنُعــيــدَ تاريخًــا ، تَلألأ حَــرْفُــهُ

بالنَّصـــرِ ، يطـردُ حـــشـــدكم ويُبَــــدَّدُ

إنَّا على مـــيــعــــادنا، فَـــتَــــرقَـــبـــوا
فى كلِّ فَـــــجْـــــرٍ ثورةً تَتَـــوعَّـــــدُ

هـى ثـورةُ الفــــــقــــــراءِ يمضى خطوهـا
لا خـــائفٌ فـــيـــهـــا ولا مُــــتَــــرَدِّدُ

هـى مـن كـــــتـــــــابِ اللـه، مـن آيـاتـه
تُملى على جـــيـل الفـــداءِ وتَسْــــرِدُ

إن الجـــهــــادَ عــــقــــيــــدةٌ فى شــرْعِنا
وهـو اللـواءُ الـواحــــدُ الُمتـــــوحِــــدُ

عينٌ على القـــدسِ الشَّـــريف، و بيـتــــه
وبمكـةَ البـــيــــضــــاءَ، عينٌ تـرصُــــدُ

وعـلى شُطـوطِ الأطـلـسى خـــيــــولُهُ
وجنودُ «عُـقــبــةَ»، والجُــيـوشُ الحُـشَّـدُ

حَمَلَ الرِّسالةَ لم يخنْ أهدافَها
طفلٌ بغزةَ يافعٌ مُتَمَرِّدُ

يَرمى حجارتَهُ بوجه عداته
ويصولُ فى ساحاتهِ، ويُصَعِّدُ

وتَدورُ فى الأفقِ البعيدِ تطلُّعًا
عينانِ شَاقَهما الحنينُ المُسعدُ

إنَّا برغم جُنودهمْ، وعتادهمْ
لا ننثنى عَنْ عَزْمِنَا، لا نَقْعُدُ

لَسْنَا نخافُهمو برغمِ رَصَاصِهِمْ
هذا الّذى مطرًا يَزِخُ ويرفِدُ

لَسْنا نخافهمو، فإنَ حجارةً
منِّا تواجهُ حشدَهم تَتَرصَّدُ

حجرٌ إلى حجرٍ، ويهدرُ عارمٌ

من موجِنا، يعلو الدّروبَ ويُزْبِدُ

(١٣)

قالوا بأنَّا الأغبياءُ لأننا
مازالتْ الأوطانُ فِينَا تُوعَدُ

ولأننا بِتُرابِها، وحِجَارِها
وفَضَائِها، وسَمَائِها نَتَعَبَّدُ

ولأننا ما رملَةٌ من أرضِها
إلا وفى أحداقنا تَتَعَمَّدُ

ولأن مِنْ «رفح» إلى «صفد» لنا
فيها وقوفٌ خالدٌ، وتَوَجُّدُ

ولأن «حيفا» لم تزلْ ميناءنا
ولأن كرْمِلَها بِنا يَتَوَرَّدُ

ولأن «يافا» فى عيونِ صغارنا

لَمَّا تَزَلْ رَفْرَافَةً تتهجَّدُ

ولأن «رَمْلَتَنا» هناكَ و«لُدنا»
نيرانُ أشواقٍ بنا تَتَوقَّدُ

ولأننا.. ، ولأننا.. ، ولأننا
ويطولُ ما يُحكى، وما يَتَرَدَّدُ

قُلنا لهم إن كانَ حبُّ بلادنا
هذا غباءٌ، فالغباءُ مُخَلَّدُ

(١٤)

لا سلمَ والأجنادُ فوقَ رءوسنا
أكعابُهم، وحُقوقُنا تَتَبدَّدُ

لا سلمَ إن السّلم يُشرقُ نورُها
يوم انزياحِ المعتدين وتُقْصَدُ

إن السلام هو العدالةُ ما سوى

هـذا سـلامٌ يُفـتَـدَى ويـؤيـدُ

إن السّـلامَ بأنْ تـكـونَ حـقـوقُنـا
مـحـفـوظةً لا تسـتـبـاحُ وتوأدُ

فَـهَـلِ العـدالـةُ أن نُطـاطـئ رأسَـنا
للغـاصـبين، ونُسْـتَـبـى ونُقَـيَّـدُ؟

وهـلِ العـدالـةُ أن يموتَ صـغـارُنا
جـوعًـا، ويطوينا الظّلامُ الأسـودُ؟

(١٧)

وَقَفَ الفَـتى، والقـدسُ ملء عـيـونِهِ
تبـدو القـبـابُ مـشـوقـةً والمسـجـدُ

«اللهُ أكـبـرُ» ثمَ أتبـعـهـا الفـتى
بالانـتـقـامِ مـزلزلاً يتـوقـدُ

سَلِمتْ يدٌ عرفتْ طريقَ مَسَارِها
وتحكمتْ فيهِ فَلانَ المِقْوَدُ

مِنْ حَالقٍ، ألقى بهمْ لِحَضِيضِهِمْ
للموتِ يطوى جمعهمْ، ويُبَدِّدُ

مُوتوا كما تَبْغُونَ أنتمْ موتَنَا
وتَجَرَّعوا كأسَ المنيةِ واشهدوا

فَمِنَ الخيامِ من الكهوفِ جُمُوعُنَا
تأتى كما الموجِ العَصُوفِ وتَنْهَدُ

حجرٌ إلى حجرٍ، وتمضى ثورةٌ
شعواءُ عارِمَةٌ تضِجُّ وتُرعِدُ

(١٨)

أقبلتَ فى الأقمارِ أروعَ مَشْهدِ
اللهُ أكبرُ جلَّ ذاك المشْهدُ

النَّارُ تأكلهمْ، وتَذْروا جَمْعَهمْ
وصُراخُهمْ يعَلو، وأنْتَ مُمَدَّدُ

عينانِ مطبقتانِ، ياليتَ الثّرى
وهدوءُ إنسانٍ، وقلبٌ مُجْهَدُ

وجهٌ كما بدرِ السّماءِ مُجَلَّلٌ
بالكبرياءِ مُنَورٌ مُتَورِّدُ

غَضَّتْ جبالُ القُدسِ عندكَ طَرَفَها
وَحَنَتْ عليكَ مَشُوقةً تَتَوَدّدُ

شَرَّفتَها، ونَفَخْتَ فيها روُحَها
وبَعَثْتَها تَسمو شُموخًا تَصْمِدُ

الانتفاضَة منذُ شبَّ لهيبُها
هيهات تهدأ نارُها أو تُخمدُ

(١٩)

عـــينى عليكَ، حـــبـــيبَ قلبىَ مِنْ هُنَا
أرنو إلـيكَ أنـا الطَّريدُ الـمُـــبـــعـــدُ

وأراكَ حَـــوْلكَ عُـــصْـــبـــةٌ مَـــجْنُونَةٌ
شـــوهاء بالإثمِ الـمُـــدمـــرِ تُحـــشـــدُ

هم يســـألونكَ. . فـــيمَ أنتَ فَـــعْلْتَـــهـــا؟
عـــجـــبًـــا. . أمـــا علمـــوا لماذا تَحْـــقِـــدُ؟

أيُقَـــتِّلونَ صِـــغـــارَنا، ونســـاءَنا
ونَظَلُّ كـــالموتى، نُبَـــاحُ، ونحُـــصـــدُ؟

هُم يَسْـــألـونك مَنْ رِفـــاقُكَ؟ من تُرى
خَطُّوا طريقَكَ؟ أحكمـــوهُ، وحَـــدَّدُوا؟

ومَنْ الألى انتـــزعـــوا سِـــهـــامَ عـــذابهمْ؟
والـيـــهـــمـــو رَدوا الـسِّـــهـــام وسَـــدَّدوا

هو فـعلهمْ يرتدُّ مـشـئـومـًا لهم ،
وبِمـثلِ مـا كـالوا نَكِيلُ ونُوردُ

هم يسـألونَكَ: مـا انتـمـاؤكَ؟ ويحـهمْ
جَـهِلوا فـهَلْ هذا سـؤالٌ يُوردُ

الانتـمـاءُ لكُلِّ حَـبَّـةِ رملة
بالدّم خَضَّـبـهـا الشَّبـابُ الأمـجـدُ

«شـعـبى هو التنظيم» قلتَ مـجلجـلاً
فـيـه نُجَمِّعُ للجـهـادِ، ونُحْشَـدُ

نُظِّمتُ منْذُ ولدتُ بينَ صـفـوفـه
والثـأرُ تنظيـمى الّذى لا يُجـحـدُ

مـا فى فلسطين التى أنتم بهـا
إلا الذّى مِنْ أجلهـا يَتَجَلَّدُ

فَلنا نقـاءُ سـمـائهـا ، وفـضـائهـا

والماءُ، والتُّربُ الّذى يتوقدُ

ولنا مآذنُها التى يعلو إلى
بابِ السّماء هديرُها يترددُ

ولنا كنائسُها، ودورُ عبادة
اللهُ فيها بالمَحَبَّةِ يُعْبَدُ

فإذا صُلُبْتُ أمامَكم، وتَجَلَّدَتْ
روُحي تُنَهنَهُ فى العَذابِ وتُجلَدُ

فلأننى أدرى بأنَ غرُوركم
هذا، سَيَقْهَرُهُ الصَّمودُ ويدحضُ

ولأننى بينى وبينَ أحبتى
عهدُ الوفاءِ مُخَلَّدٌ، ومُوطّدُ

ولأننى بالموت أنشدُ غَايَةً
تَسْمُو عنِ العَيْشِ الذّليلِ، وتَخْلدُ

(٢٠)

يـاابـنَ المـعــــــــسكـر إنَّ فـى أعـنـاقـنـا
دَيْـنٌ، وإن طالَ المَدى سَـــيُـــسَــدَّدُ

أيقظتَ فــينا همــةً مــخــبــوءةً
ورَددْتَهـــا أمـــلاً جـــمـــيـــلاً يُولدُ

قُلتَ الّذى قَـــدْ قُلتَ لحظة وثبـــة
جُنَّ العـــدوُّ لـهـــا، ومَنْ قَـــدْ هُوِّدُوا

نُصـــراؤهمْ زاغت عُـــيـــونُ بصـــيـــرة
منْهُمْ، وطاشَ صَـــوابُهمْ، وتَجـــمـــدوا

فَـــرْدٌ بجـــيشٍ، بالسّـــرايا كُلِّهـــا
بجـــمـــيعِ مـــا حَـشَـدوا ومـــا قَـدْ جَنَّدُوا

بالـطـائـراتِ الهـــابطاتِ مَـــذَلَّةً
تَهـــوى إليكَ كَـــسـيـرةً تسـتَنْجـدُ

بمجنزراتٍ، زاحــفــاتٍ مــثلمــا
الأفــيــال ترجُــمــهــا الحــجــارُ، فَــتَــسْــجُــدُ

قُــلــتَ الّــذى قــل قــلــتَ إن رســـــــــالــةً
أرسلتــهــا تُغــيي البــيــانَ فَــيَــجــمــدُ

(٢٢)

يافــــخــــرَ أُمــــتنا، ورمــــزَ خُلــودها
يــاأيُهــــا البطلُ العظيمُ الســـــيِّــــدُ

الشِّــــعــــرُ يســــمــــو بالجــهــادِ ويعــتلى
هامَ النُّجــومِ قــصــيــدُه المتــجــددُ

الشِّــــعــــرُ لــولا أنتَ جَفَّ مَــعِــيــنُه
وتبــعــــثــرتْ أبيــــاتُه تتــبــدَّدُ

الشِّــــعــــرُ زلزلةُ النُّفــوسِ بصــدقَــه
وعطائِه تســمــو النفــوسُ وتُحــمــدُ

الشّعر ليس تراجعًا، وتخلفًا
وترددًا عما نريدُ، ونَنْشُدُ

الشّعرُ غايتُهُ التّحررُ والعُلا
وَسَبِيْلهُ النَّهجُ السَّويُّ الأوحدُ

عابوا علينا أنَّ نبرةَ شِعرنا
تعلو وأن قَصِيدَنَا يَتَوقَّدُ

وبأننا مثلُ الرَّصاصِ، كلامُنا
يأتى إلى صدرِ العدو يُسَدَّدُ

عابوا علينا أننَّا لمَّا نزلْ
نشدوا لأيام الجهادِ، ونُنشِدُ

ماذا نُسميها فلسطينا إذا
لم تأتِ شعرًا رائعًا يَتَخَلَّدُ

فَلَنا الشّجاعةُ فى مواجهةِ الألى

جـــاروا علـى قُــدْسِ العُــروبةِ واعـــتـــدوا

إنَّا نُـسَـمـي القـــاتـلين بإســـــمـــــهمْ
ونُحـــدِّدُ الـهــدفَ الشَّــريفَ ونَرصُـــدُ

الشِّــعــرُ باســمكَ، ياحــبـيبَ قلوبنا
يبـــقـى لأجـــيــــالٍ تَـجيءُ وتـولَـدُ

يبـــقـى لـهمْ، ليــضيء درب وجـــودهِمْ
ويكون نِـبْـــراسًـــا، يُنارُ به الـغـــدُ

تونس : ١٩٨٨



الشيخ أحمد ياسين

نكون.. أو لا نكون

[وجهت زوجة الشيخ أحمد ياسين نداء للإنسانية من أجل الشيخ المقعد المريض فى سجون الاحتلال الإسرائيلى]

(١)

حَمَلَ البَرْقُ، صوتَها . . والأنينُ ... وأتانَا، نداؤها والحَنينُ
شَيخُها الباسلُ الأبىُّ المُرَجَّى ... زوجُها الطَّيِّبُ الكريمُ الحنونُ
فى دُجَى السِّجْنِ فى شقاءِ لياليه ... مريضٌ مُعَذَّبٌ، مَطْعُونُ
شيخُها المُقْعَدُ العظيمُ يقاسى ... لا طبيبٌ، لا زائرٌ، لا مُعِينُ
قَدْ أحبَّ البلادَ - أرضًا سماءً ... فهو بالأرضِ مُغْرَمٌ مفتونُ

(٢)

قالَ: ما رملةٌ نفرِّطُ فيها ... حَمَلَتْها قُلوبُنا، والعُيونُ
هى مِنَّا لنا اشتياقٌ ووجدٌ ... وعَذابٌ، وحُرقةٌ وحَنِينُ
هى فى عُرفِنا عقيدةُ إيمان ... وعهدٌ على الوفاءِ، ودِيْنُ
قالَ ما قالَ، والجماهيرُ رَجْعٌ ... لصداهُ، مُزَلْزِلٌ، وَمكِينُ
مُقْعَدٌ أعْجَزَ الكتائبَ والجيشَ ... صبورٌ على الجهادِ أمِينُ

(٣)

سَجَنُوهُ، ومـا دَرَوا أيُّ شيخٍ — هو هذا المُقَيَّدُ المَسْجونُ
سَجَنُوهُ، وهو الطَّليقُ بِرُوحٍ — تَتَحدى . . فَمَنْ تُراه السجينُ؟
سَجَنُوهُ، ظنا، بأنَّ لهيبًا — من لظاهُ، يَذل يومًا يهونُ
سَجَنُوهُ، والسِّجنُ يسمو شموخًا — بالبُطُولاتِ يَزْدَهي ويَزِينُ

(٤)

الجيوشُ المُدرَّعاتُ إليهِ — زاحفاتٌ تَذلُّ خِزْيًا تَدِينُ
ذَنْبُهُ أنَّهُ على الحقِّ باقٍ — لا يبالي بِعَسْفِهِمْ لا يَلينُ
ذَنْبُهُ أنَّهُ يجاهرُ بالرَّأي — ويُعْلي لواءهَ، ويَصُونُ
ذَنْبُهُ أنَّهُ يقولُ فلسطينُ — لنا نَحْنُ شعبُها المأمونُ
نحنُ لا غيرُنا، حماةُ حماها — نَحْنُ درعٌ لها، ونَحْنُ الحُصونُ
قالَ . . ما قالَ، صامدًا لا يبالي — بِسَواطِ العَذابِ لا يَسْتَكينُ
عذَّبوه، فما تَراخى ارتدادًا — لا ، ولا هَزَّهُ العَذابُ المُهينُ
هو يَدرى بأنَّ عُمْرَ أعاديه — قصيرٌ، وعَهدَهم مطعونُ

(٥)

سألوهُ: لِمَنْ فلسطينُ هذى — ولِمَنْ يهدرُ اللَّظى المَجْنُونُ؟
اسْألوا حَوْلكمْ، تجيبُ ليالٍ — هى منا لنا تجيبُ السُّنونُ
اسألوا حَوْلكمْ، تُجيبُ العصافيرُ — يُجيبُ . . الليمونُ، والزَّيتونُ
اسألوا حولَكمْ، تجيبُ جبالٌ — وسهولٌ، وأربعٌ، وحُزُونُ

اســـألوا حــــولكمْ، تجـــيبُ روابى القـــدسِ تَحكى أخـــبـــارَها حِطِّينُ

إن هـذا التّـــــرابَ غــــال علـينا وعـــــزيزٌ، مُـــــقَـــــدَّسٌ وثـمينُ

هـذه دورنـا شـــــــواخصُ تحكى فـاسـمـعـوا صـوتَهـا يُجيبُ اليـقينُ

(٧)

الجــــهـــــادُ الَّذى رفـــعنا لِواهُ هُو مِنْ أجلِهــــا عــــزيزٌ مَكِينُ

لا انــثــنــاءٌ، ولا ارتــدادٌ ولــكــنْ ثورةٌ غــيــثُــهــا سَكوبٌ هَتُــونُ

بالدِّمـــاءِ، الدِّمـــاءِ نَروى ثراها لا جــبـــانٌ فى صَــفِّنا لا خَــئُــون

إن مَنْ عُلِّم الجِــهـــادَ صَــغــيـــرًا لا يُبـــالى مَـــتَى تُكونُ المَنُونُ

حـــاوِرُوهُ ليـــلاً، نهـــارًا وخـــابوا فــهـــو كـــالسَّـــيفِ جـــارحٌ لا يلينُ

(٨)

مُقْعَدٌ صوتُه، يُجلجِلُ فى السِّجنِ فــتــهــتــزُّ مِنْ صَداهُ السُّــجــونُ

هو أقـوى مِنَ السَّلاسلِ والسَّجانِ أقــــوى فُــــؤادُه، والجَــــبَـينُ

آيةٌ النَّصـــر فى مـــحـــيـــاه تعلو وهى فــجــرٌ، مِنَ الجِــهــادِ مُـبينُ

هو يدرى، أن الجـمـاهيـرَ زحفٌ لا انــحــنــاءٌ، لا ردةٌ، لا سُــكــونُ

(٩)

جــاءَنا الصَّـوتُ، من بعـيـدٍ إلينا صــوتُهــا، وانفــعَــالهُــا الـمَـحْـزُونُ

أتنادى؟ . . ومـن تنادى؟ زمــانًا كلُّ مـــا فـــيـــه، سـيِّئٌ مَلْعُـــونُ

أتـنادى؟ ومـن تـنادى؟ رجــــالاً فى التفـاهات عـمـرُهم مَـعـجُـونُ

أتنادى السّـيوفَ؟ مـا مِنْ سيـوفٍ بعــدُ قَــدْ خُــبِّــئَتْ، وغِـيلَ العَـرينُ

(١٠)

تَتَــوالى الأخــبــارُ، تَتْــرى إلينا ... والجــهـــادُ، والمؤزرُ الميـــمـــونُ
أهلُنُا الصَّـامـدونَ، مـا مِنْ مـجيـرِ ... لنداَهُمْ، ولا صَـــبَــــاحٌ مُـــبِينُ
شُـغلوا عنهمُ، فليسَ عـجـيـبًـا ... أن يُشـيـحـوا وجـوهَهَم أنْ يَهُـونوا
أنْ ينامـــوا على جـــراحِ المآسى ... لا التـــفـــاتٌ، لا ثورةٌ، لا حَنينُ
خـيَّمَ الصَّـمتُ، فـالدِّيارُ خِـواءٌ ... دَبَّ فـيــهــا الخَـرَابُ، والطّاعــونُ
يتــسلونَ باجــتــرارِ الأمـــانى ... والأمـــانى بلوغـــهـنَّ ضَنينُ
فـالتحفْ بالصُّمودِ عِزاً، وصبراً ... ياكـــريمَ الجَنابِ، يا «ياسين»
لا تُبـالى مـهـمـا تجـوُّرُ العَـوادى ... أو يـشـــــاءُ المراوغُ المجـنـونُ
الجهادُ.. الجـهـادُ، ما مِنْ سبيلٍ ... غـيـــرَ هذا، نكونُ.. أو لا نَكونُ

تونس: ١٩٨٩



منذر الدهشان

منذر الدهشان

[عن الفتى منذر الدّهشان الذي
يواجهُ في سجون العدو،
حكماً بثلاثة مؤبدات]

(١)

- : مِنْ أينَ «منذرُ الدَّهشان»
: مِنْ «حارة الزيتونِ» مِنْ مشارفِ «العُمْدَانْ»
- : مَنْ منكُمو توقفتْ عيناهُ،
تَقْرأُ الأسماءَ،
توقظُ التَّاريخَ
تُرجِعُ الزّمانْ

(٢)

فهذه الحارةُ،
ذاتَ يومٍ،
حاصرتْ دُروبَها الغرْبَانْ
جحافلُ التّتارِ، أقبلتْ مَسعُورةً،
يَقُودُها الشَّيطانْ،
تَحْملُ أسوأَ ما سَطَّرَ التَّاريخُ،
في صفحاتهِ، وسَجَّلَ الزّمانْ
مِنْ بعدِ ما قد دَمَّرتْ بغداد

أحرقَتْ تُراثَها ، واجتاحتْ البنيان
على مشارفِ المدينة ، العزيزة المكانْ
تجمعتْ حشودهم ، وأطلقَ الإنذارَ
«كتبو غايتهم» وكرَّروا الإعلانْ
«إستسلموا ، وسلِّموا ، أو نُعملُ
السيفَ بكمْ ، ونُشْعلُ النَيرانْ»
و«غزة» المدينةُ الشَامخةُ العرنينِ
والجامحةُ العنانْ . .
صامدةٌ فى وجههمْ ،
تُعْلنُ رفضَها الجموحَ
تُعلنُ العصيانْ

(٣)

وهاهنا ، فى ساحةِ «العُمدانْ»
تجمَّعَ الفُرسانْ
من «مصر» من محروسةِ الرَّحمنْ
توافدوا ، يُكبرونَ ، يصدحُ الأذانْ
وكانَ ، ما قد كانْ
الفارسُ الشَّجاعُ «بيبرسُ»
طاردَ الغزاةَ ردَّهَمْ «لِعَينِ جالوتَ»

«إسلاماهُ» تخرقُ الأجواءَ
تبلغُ السَّماءَ،
توقظ الموتى، وتُشْعِلُ الذُّرى
وتلهبُ الكُثْبَانْ
و «قطزٌ» والسَّيفُ اليمانيُّ،
يدورُ في الشمال، واليمينِ
لا يكُفُ، يحصدُ الرؤوسَ
يُبْدِعُ الطِّعانْ . .

(٤)

وفي الصُّفوف كانتْ «غزة» الرجالِ
يومَها حاضرةً، بكُلِّ كِبْرها الطَّالعِ
من تُرابها، والعُنفُوانْ
عَن أمة الإسلامِ،
كانَ ذاكَ اليومُ
عَنْ كرامةِ الإنسانْ
بوقفة الرجال، كانَ النَّصرُ ساطعًا
يُشرقُ مثلَ الشَّمسِ،
يَدْحَرُ الدُّجى،
ويقهرُ السُّلْطانْ

(٥)

هذي هي العمدانْ

وهذه «غزةُ» يا «منذرُ»
مُنْذُ أوَّل الزَّمان،
حتى آخرِ الزَّمانْ
القلعةُ التى على أبوابها
يَسْتَسْلمُ الغزاةُ،
يرفعونَ الرَّايةَ البيضاءَ
يُهزمُ الطُّغيانْ..

(٦)

«غزةُ» ياحبيبها،
تحكى لياليها وتروى،
قصةَ الفتى الدَّهشانْ
أحبَّها، وَذَاد عَنْ حيَّاضها،
قاتلَ، كانَ قدوة الفتيانْ

(٧)

يا «منذر الدَّهشان»
كَمْ مؤَبَّد شاؤوهُ،
فى أحكامهمْ، فى شرعة البهتان؟
فى الزمنِ الردىء، والـمُهان
يُحاكمُ البرىءُ،
والمقاتلُ الجرىءُ،
يَحْكُمُ المُدَانْ

لأنهُ . . يا «منذر» الحبيب،

فى زماننا المعوج،

غُيِّرتْ أعْرَافهُ، وبُدِّلَتْ،

وانقلبَ الميزانْ

(٨)

أمُكَ يا حَبيْبَهَا،

قَدْ زَغْرَدَتْ، ولَوَّحَتْ منديْلَها

مُخْتَالةً، يَقْطرُ منْهُ الحُبُّ والحَنانْ

يُعَطِّرُ السَّماءَ،

بالفداء،

عاليًا، وعالياً يرتفعُ النِّيشَانْ

(٩)

قَدْ زغردتْ أمُكَ،

لَمْ تَشُق ثَوبها فى وَجْهِهِمْ،

لَمْ تَدْمعْ العَيْنانْ

: - «إصمدْ» تَقُولُها،

يُرَدِدُ الصَّدَى،

الفوَارسُ، البواسلُ، الشّجعان

: - مَهْمَا دَجَى لَيْلُ الأسَى،

واسودَ،

مهما اشْتَدَتْ الأحزانْ

مهما القيودُ أحكمتُ وثاقَها
واسْوَدَتْ الجُدْرَانْ
فَقَادمٌ زَمانُنَا الآخرُ،
قادمٌ مِنْ رَحمِ الأزمانْ
يُبَشِّرُ التُّقاةَ، والمرابطينَ
فى خنادقِ الصُّمودِ
بالسَّلامِ والأمان
بساعةٍ آتيةٍ يُهَدُّ فيها السِّجنُ،
مهما صَلُبَت جُدْرَانهُ،
ويُسْحَقُ السَّجانْ. .

القاهرة ١٩٩٧



سهيله أندراوس

اعتــذار..وانكســار

[إلى ســـهـــيلة أندرواس
فى ســجنهــا البــعــيــد]

(١)

نَعْتذِر، ونَنْكَسِرُ، ونُخذلُ نَحنُ الشُّعراءْ
فى زمنِ الرِّدةِ..
غُيِّرتْ الكلماتُ، وبُدِّلتْ الأسماءْ
لن نسألَ بعدَ اليومِ
عن «المعتصمِ» الغاضبِ للشّرف العربى
ولن نتحدثَ عَنْ «أسماءَ» أو الخنساءْ»
أصبحنا نحنُ هنود العصرِ الحمر،
وسَقطَ متاعِ الأجَراءْ..

(٢)

ياقمرَ فلسطينِ الغارق فى الظَّلماءْ،
يانبضَ الحريّةِ يا كلْمَتهَا،
يا وردتَها الحمراءْ
يا «قُدسُ».. ويا «يافا»،

يا «حيفا» المقهورة، يا «عكاء»
ياإسمَ فلسطين الضائعِ،
والمذبوحِ بسيفِ الأهواء،
يا صرخةَ كُلِّ الأسرى المنسيين،
وكُلِّ السُّجناءْ،
يا بنتَ التيهِ، وبنتَ الغُربةِ،
يابنتَ البؤساءْ..
من يسمعُ صوتَك، هل يقدرُ أحدٌ،
أن يرفعَ إصبَعَه فى استحياءْ..

(٣)

فى زَمَنِ الدَّجالينَ،
وزَمنِ الثرثارين،
وزمنِ الرّقُعاءْ..
لا يطلعُ فجرٌ،
لا يورق غُصنٌ،
لا تهدلُ ورْقَاء..
لا تَذْرفُ عينٌ دمعةَ حزنٍ،
لا تنبثُ شفةٌ مِنْ وَجَعٍ،

أو منْ إعياءْ
النَّاسُ كما الحيطانِ
قُلوبٌ جامدةٌ صمّاءْ،
لا تسمعُ صرخةَ ليلى
طفلتكِ،
تُناديكِ صباحَ مساءْ

(٤)

يا غُصنَ الزَّيتونِ المكسورِ، على
مئذنةِ الأقصى، البيضاءْ،
يانَوحَ شَوَطِنِنا التَّائقةَ اليكِ
ويا نفحَ روابينا الخضراءْ.
أعتذرُ اليكَ،
وأشهدُأنكِ أقوى منا
أقوى من كلِّ العُظَماءْ
وكلِّ الكبَراءْ..،
أقوى من كُلِّ الكذَّابينَ،
الدَّجالين، وكُلِّ الفُصحاءْ

من يقدرُ منهمْ أن يغضبَ
أو يصرخَ أو يستاءْ

(٥)

أسألكِ العفوَ،
فنحنُ المقهورونَ من الأطلنطِ
وحتى الشَّط العربى،
وحتى صنعاءْ
نتوسلُ منكِ العفوَ،
ونُقْرِؤكِ سلامَ الضُّعفاءْ

(٦)

نعتذرُ إليكِ، ونعتذرُ لشَاعركِ،
لليلى، ونقرُّ بأنَّا سُخفاءْ. .
نعتذرُ إليكِ،
لأنا نحنُ خرِسنا،
وجبُنا وتقَاعَسْنا،

عن صَرْخَتِك الخَرْساءْ . .
نعتذرُ لليلى ، تنمو كالصبَّارِ
وتنبتُ فى وسطِ الصحراءْ . .
نعتذرُ لأحمدَ ،
نحنُ تَخلينا عنكِ وعنهُ ،
وعَنْ ليلاكِ ، وعَنْ كُلِّ الشُّرفاءْ .

القاهرة : ١٩٩٦

الحبس الاداري

[.. ابتدع العدو الصهيوني أساليب شتى لتعذيب شعبنا تحت الاحتلال منها الحبس الاداري.. صرخة واحدة من مئات نسائنا الصابرات]

(١)

لمَنْ أشكو تُرى الحبسَ الإداري
بِلا ذَنْبٍ، بلا أي اعتبارِ
فَسِتَّةُ أشْهُرٍ تَمضى لتأتي
على عجلٍ بتكرارِ القَرارِ

(٢)

لَقَدْ دهَمَ الجُنَاةُ، سُكُونَ بَيْتي
وَهَزُّوا في ظَلامِ الليْلِ داري
وما رَحِمُوا، ولا رَقُّوا لعَجْزي
ولا التَفَتُوا، لتَرْويع الصِّغَارِ
لِسَابعِ مرةٍ، يأتى ظَلُومَاً
قَرَارُهمو بتَجْديدِ الإسَار

(٥)

أهذا العدلُ في زَمَنِ التّردّي
وفي زمن المَذلّةِ والصَّغَارِ؟
ألِلإنسان عندهمو حقوقٌ
وفي وطني يُسَامُ بالاحْتِقَارِ؟
أُسَائلهمْ تُرى ما ذَنْبُ زوجي؟
وَفِيمَ يَظَلُّ رَهْنَ الإنتظارِ ؟
وأسألُ، لا أجابُ. . بأي ذنبٍ
تُرى عاودتمو الحَبْسَ الإداري؟

(٤)

وَيَسْألُني، صِغَاري كلّ يومٍ
مَتى يأتي، وأعجزُ أو أُداري
ولا أسْطِيعُ أن أُحري جوابًا
لأطفالي، ولا يجدي اعتذاري
أقولُ لهمْ، غداةَ غَدٍ سَيَأتي . .
ولا يأتي، فأغْرَقُ في انكساري

(٥)

أعـــيشُ تَوالي الأيامِ حــيــرى
مُــضَــيَّــعَــةً، بليلى أو نهـــارى
وأعــجــزُ أن أُزحــزحَ عَنْ عُــيــونى
خــيــالاتِ الشَّــقَــاءِ والانْهِــيــارِ
أفي الدُّنيــا شــقــاءٌ مــثــلُ هذا،
الذى أنا فــيـــه مِنْ حُــزْنٍ ونَارِ

(٦)

صِــغَــاري كُلَّمَــا زاروا أباهمْ
رَمَوْنِي فى مَــتَــاهاتِ القِــفَــارِ
أجــدِّفُ، لا أرى إلا سَــرابًا
يُراوِغُني، فــأغــرقُ فى الغُــبَــارِ
وأُلجمُ لستُ أُحــري مِنْ جَــوابٍ
لأسْــئلةِ الأعــزاءِ الصِّــغَــارِ

(٧)

لماذا..؟ فــيــمَ؟ لا أحــدٌ يُلَبي

نـدائـي أو يـردُ عـلـى انهياري
أإنسانيةٌ هذي لعمري
ملطخةٌ بعارٍ، أي عارِ
بلا حُكْمٍ، ومَحْكَمَةٍ وعدلِ
يظلُّ رفيق عمري فى الإسارِ
لمنْ أشكو، وماذا قَدْ تَبقَّى
لَدَيّ من الشَّكاةِ والانفجارِ
أنا أمٌّ، وكمْ أمٍ كَمثلي
ملوعةٌ من «الحبس الإدارى»

القاهرة ١٩٩٧



سمر سامى العلمى

يا أنت يا سمر...

[إلى سمر سامى العلمى
فى سجنها البريطانى البعيد]

(١)

ماذا أقولُ يا سَمَرْ . . .
وكلُّ شىء ضاعَ منْ عُيُونِنا انتَحَرْ
ما عادتْ الشَّمس، تُحاربُ الظَّلامَ،
وما عادَ القَمَرْ

(٢)

غزةُ، وطنُ الأهلِ، ودارُهمْ،
تسألُ عنكِ، يسألُ الشَّجرْ
ويسألُ الشَّاطئْ،
يسألُ الموجُ الذى، على رمالهِ انكسرْ
وتسألُ الدُّروبُ، والأزقةُ التى
تملأُها الحُفَرْ
وتَسْألُ العَصَافيرُ، على جَدائلِ الزَّيتونِ،

والليمونِ، تَسْألُ الأصالُ والبُكَرْ

(٣)

تسألُ عَنْ صبيةٍ، واعدةٍ،
غابتْ سنينًا،
غابَ أهلُها فى التيهِ،
فى السَّفَرْ
تسألُ عن أسرتِك التى
من أكرمِ الأسَرْ
تسألُ عن سامى،
وعنْ زهير، عن عدنان،
تسأل الزُمرْ

(٤)

غزةُ يا سَمَرْ
كَمْ شَمَّرتْ ساعدَها،
كم أقلعتْ فى حَومةِ الخطرْ
غزةُ يا سمرْ. .
تحفرُ اسَمك الرّائعَ،
فوقَ قُبةِ الجامعِ، فى حارَتِنا،

وتنقشُ الذُّكَرْ
فهاشمُ، جَدُّ النَّبى، جارُكمْ
وجارُ دارِكمْ، مازالَ ينتظرْ
عودتكمْ مبللين بالنَّدى،
معطرينَ بالزَّهرْ

(٥)

ماذا أقولُ يا سمرْ
قد ضاعَ مِني القولُ،
شُوِّشَتْ فى رأسى الفِكَرْ
فأنتِ فى صُمودكِ الأبى،
عبرةُ العبرْ
وأنتِ والأسرةُ فى عيوننا
وفى قُلوبنا، مدى العمرْ
ياإبْنَةَ الشَّعب الّذى
ما ذلَّ مرةً، ولا انْدَحَرْ
فالانتفاضةُ التى منْ أجلها
آثرتِ موقفَ الصُّمودِ والخطرْ
تبقى أعزَ ما أبدعَ شَعْبُنا

العظيمُ ما ابتكرْ
والشُّهداءُ فى عليائهمْ
يُعَرِّشون حولَ السِّجنِ،
يسألونكَ الصُّمودَ للقَدَرْ

(٦)

شامخةٌ كَما جبالِ القُدسِ
والخليلِ، مثلما نابُلسَ يا سمر
ثابتةٌ كما صُمُودنا الأغرْ
تُعلِّمينَ القادمينَ من أجيالنا،
والنَابتينَ فى مَسالكِ الشَّرَر
بأنَّ لا شىء يُساوى
لحظةَ افتداء الأرضِ،
لحظةَ الظَّفَرْ

(٧)

أواهُ يا سمرْ
يازهرةُ النَّارنْجِ
يا سَوسَنَةُ الوُديانِ
يا حبيبةَ السَّحَرْ
يا قمراً أطلَّ فى سماء غزةَ،

التى هناكَ تنتظرْ

تَجَمَّلى بالصّبر ، كَمْ شَعْبُكِ

فى عذابهِ صبرْ

(٨)

ماذا أقولُ يا سمرْ ! !

ماذا أقول بعدُ ،

قصَّر الكلامُ واعتذَرْ

القاهرة: ١٢ يناير ١٩٩٦

رسالة مفتوحة

[إلى القاضى البريطانى «باتريك جار لاند» الذى أصدر حكمه على سمر العلمى وجواد البطمة بالسجن عشرين عاما]

(١)

يا سيدى . . ،

بكيْتُ، عندَ نُطقِ الحُكمِ،

موجعًا، بكيتُها العدالهْ

بكيتُها لأنها، قَدْ طعنتْ،

شعبى الحبيبَ،

خيّبَتْ آمالهْ،

(٢)

أهذهِ هى العَدَالهْ . . ؟!

ألا يزالُ بَعْدُ، منَ يَقُولُ:

إن فى بريطانيا،

لَها الجَلالهْ . . !

وهى الّتى، قد أصدرتْ،

أحكامَها،

وأمْلَتْ الرِّسَالهْ . .

وهى التِّى منْ أولِ القرنِ

نُجَرَّعُ الصَّابَ من كؤوسها ،

إلى الثُّمَالهْ . .

(٢)

يا سَيِّدى القاضى :

أقُولُها :

المجدُ للقانونْ ،

أرفَعُ رأسى عاليًا .

أهتفُ دومًا عاليًا ،

المجدُ للقانونْ

لكننى ياسيدى أسألُ ،

عَلَّ يسمعُ الـمُحَلَّفُونْ

عَلَّ الّذينَ يَحكُمُونْ

فى لَحظةِ منَ الصَّفاء يُنصفُونْ

أسألُ :

فى أى شرائعِ الدُّنيا ،

يُسلَبُ وَطنٌ بأسرهِ

وأهلُهُ إلى العَرَاءِ يُطرَدونْ؟

فى أى شرعٍ ،
يأكلُ الأغرابُ زادَهمْ، وخيرهمْ،
وهُمْ يجوعونَ، ويمرضونْ؟
فإنْ تَوجَّعوا ، أو صرَخَوا ،
أو حاولوا شَيئًا يُحاكَمُونْ ! !

(٤)

يا سيِّدى ،
ماذا جَنى جَوادُ؟
وما الَّذى جَنَتْ سَمَرْ؟ !
عشرونَ عامًا ،
كيفَ . . ؟؟
من أينَ انتزعتَ الحُكمَ؟
من دفاترِ للانتدابِ ،
لَمَّا تَزَلْ تُكوى فلسطينُ ،
بنَارِها ، وتُؤتَسَرْ ؟
مَنْذُ ثُلاثاءِ جَمْجُومٍ ،
وَصَاحَبيه
والكَوارثِ الأخرْ ؟

مَنْذُ الثّلاثاء التَّى ،
تأرجحتْ بها الرُءوسُ ،
والأرواحُ ، والفكَرْ ؟
وأنتمو ، أمامَنَا ، وخَلفَنا ،
وفوقنا ، تُحاصرُوننا بالموتِ والخَطَرْ
وتَزْعمونَ أن العدلَ ،
منْ دياركُمْ إلى الدنُّى انتَشَرْ

(٥)

ياسَيدى القاضى . .
تُرى سألتَ مَرَّةً ،
وَهَلْ تساءَلَ الـمُحلّفونَ ، والحُجَّابْ
عَنْ دُورنا التى يَسكُنُها الأغرابْ
وعَنْ كُرومِنا التى ، يدورُ فى أنحائِها النُّهابْ
هل سألوا ماذا تُرى قد فعلتْ
بِنا بريطانيا . والانتدابْ
هل حَاولوا أن يفتحوا الكتابْ
أن يقرأوا كيفَ أتوا بوعدهِمْ
فَدَمَّرُوا حياَتنا ، وعَمَّمُوا الخرَابْ

(٦)

ياقاضى القضاةِ

أيها السَّيدُ

هل حاولتَ أن تسترجعَ

الأيامْ؟

أكانَ جَدُّك الَّذى قَدْ حَطَّ،

فى ديارِنا،

وأغرقَ البلادَ فى الظَّلامْ؟

أما شَعَرْتَ لحَظةً

بعقدةِ الذَّنبِ؟

أما تذكرتْ للحظةٍ

حكايةً للثَّاكلاتِ والأيتامْ؟

أما رأيتَ طفلةً، كما الصبيةِ

التى حاكمتَ، لا دارٌ، ولا أهلٌ

ولا هويةٌ، ولا أحلام؟

(٧)

ماذا تقولُ. . أيها السَّيدُ

للصبيةِ التى قد واجهتكَ

تلعنُ الارهابَ والإجرامْ؟
صبيةٌ نقيةٌ، كمثلِ ضوءِ الفجرِ
مثلما النَّدى، ومثلما الغمامْ
بريئةٌ أدنْتهَا،
وأنتَ تَدرى أنها
أصفى من الصفاءِ فى شُموخها
أنقى من الإلهام . .

(٨)

ماذا تقولُ، ياتُرى لفارسٍ
ينهضُ مثلَ السيّفِ
فى وجهِ الأذى، والاتهامْ؟
أما قرأت فى عينيهِ
دفقةَ الحُبِّ، ونبضَةَ الحنانِ،
روعةَ الوِئامْ؟
أما تُحب مثلما أحبَّ،
أن يَعُمَّ الخيرُ فى ديارِهِ،
وينشرَ السَّلامْ؟

أماتَ كُلٌّ شىء فيكَ
مثلما قد ماتَ عندَ مطلعِ
القرنِ الضَّميرُ فى بلادكْ ونامْ؟

(٩)

ياسيدى القاضى . .
أبَيْتَ إلا أنْ تعيدَ
ذلكَ الماضى البغيض ،
تُوقظَ الآلامْ
أبيتَ إلا أن تجورَ فى حُكمكَ
تحرقُ الزَّيتونَ
تقتلُ الحمامْ

(١٠)

ياسيدى القاضى :
صَرختُ شاعراً
صَرختُ إنسانًا
صَرختُ لاجئًا مشَّرداً
صرختُ واحداً من الأنامْ

أعدتنى فى لحظة
من بعد ما لجأتُ للصَّمتِ
وآثرتُ السُكوتَ
فى زمانِ الانفصام
لأنبشَ الأوراقَ
من مرقدِها
وأشرع الأقلامْ
عسى لعلَ صرختى إليكَ
توقظُ الكامنَ فيكَ
تبعثُ المبادئَ العظَامْ
فتذكرُ الشَّعب الذى ظلمتموهُ
مُنذُ أن دخلتمو ديارَه
حكمتمو عليه بالإعدام .

(١١)

يا سيدى القاضى . .
رسالتى إليكَ
. عبْرَ الرِّيحِ ، عبْرَ المَوْجِ
عبْرَ عالمِ الأوهامْ
تطيرُ مِنْ يدٍ إلى يدٍ

تَحُطُّ مثلما حمامة، وادعة،

وتَحْملُ السَّلامْ

رِسالتى مَفْتُوحةٌ ياسيدى

مفتوحةُ الجرحِ تظلُّ

هكذا بلا التئامْ

رسالتى تَصْرُخُ بالسَّماء

بالجبال، بالتِّلال، بالآكامْ

تَبْحَثُ عَنْ لحظة صدق،

لحظة عدل، لحظة ابتسامْ

تبحثُ عن ختامْ

وهى تَظَلُّ دونما ختَامْ

حتى يكونَ العدلُ،

سيدَ الأحكامْ

فالعدلُ وحدَه، لا غيرهُ

يحققُ الحقَّ، وينشرُ السّلامْ

القاهرة: ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٦

دعوة إلى الكتابة .. !!

[.. لعل أقل ما نعبر به عن إعجابنا بسمر سامي العلمي،
وإكبارنا لمشاعرها الوطنية، والإنسانية هو أن نكتب لها
وهي في زلزالتها البريطانية الباردة، لنبلغها كم هي غالية
علينا وكم نحن فخورون بها..]
د. أنيس صايغ السفير ٢٠/١٢/١٩٩٦

(١)

ياإخـــوتى.. أدعـــوكمُ أن تكتـــبــوا
لعـــزيزة، جـــوراً، وظُلمــاً تُغْلَبُ
فى السِّـجنِ أخـتكمُ، تعـانى قـهـرَها
وبليلهـا القـاسى الطوَّيلِ تُعـذَّبُ
ســـمـرُ العـــزيزةُ، من لهـا إلا الألى
مـن أجلـهـم، هـذا العَطَاءُ الطَّيبُ
كُـــونوا لهـــا بِحنَانكمْ، وحنينكم
وبِحُـبِكمْ وبكلِّ مـــا تتَـــرقَّبُ

(٢)

سَـــمَـــرُ العـــزيزةُ، آثرتْ فى بَذْلهـــا
وطنًا، يهـــدَّدُ بالضَّـــيـــاعِ ويُنْهَبُ
ضَـــرَبَتْ لَنَا مَـــثَـــلاً، وكَـــانتْ قـــدوةً
فى البـذلِ، لا تَخْـشى ولا تَتَـهـيَّبُ

مـــا هَمَّـــهـــا تَرَفُ الحـــيـــاة ولَهْـــوُها
أو أيُّ مـــــا يُغْــــرى البَنات ويجـــذبُ
نَهِلَتْ من العِلمِ الكثــــيـــرَ وأبدعتْ
فـــيـــه، وظلتْ تســـتـــزيدُ وتطلبُ
جـعلتْ فلسطينَ الحـبـيـبـةَ همَّـهـا
والغـــايةَ القُـــصَـــوى التى تتَـــرقبُ
حَلِمتْ بهـــــا وطنًا، كــــريمًا آمنًا
لا ظالمٌ فـــيــــه، ولا مُـــتَـــعَـــصِّبُ
مـــا فـــيـــه مُـــحْـــتَلٌ يعكرُ صــفــوهُ
ويُزَوِّرُ التـــاريخَ فـــيـــه ويكذبُ
يغـــتـــالُهُ شِـــبـــراً فَـــشِـــبـــراً ظَالماً
ويظلُّ يســــــــرقُ من ثَـراهُ ويَنْهَبُ

(٣)

قـــالتْ: لأجلكِ يابلادى هِمَّـــتى
ولأجلِ مَنْ قَـــدْ شُـــرِّدوا وتَغَـــرَّبُوا
حَـمَلَتْ أمـانيـهـا الكبـارَ تَجَـشَّـمَتْ
للصَّـعب تَهْـدرُ فى الجُـمـوعِ وتَخطُبُ
«جـان دارك» ثانيـةً تعـودُ وصُـوتُها
يعلو كـــزلزالٍ يموجُ ويَصْـــخبُ

عـــادت كـــمـــا «الخنســـاء» فى إقـــدامـــهـــا
لـلـهِ ليسَ لغــــيـــــرهِ تَتَــــقَـــربُ

(٤)

سَـــمَــرُ الصــبــيـــةُ، والطَّريقُ أمَــامَـــهــا
داجٍ يُغَـلِّـفـــــهُ الظَّـلامُ الــمُـــــرْعِبُ
دَفَـــعَتْ مَـــشَـــاعِلَهـــا، وشَـــقَّتْ دربَهـــا
والحقُّ، والوطـنُ الحـــبـــيـــبُ المأربُ
«يافـــا»، و«حـيـفـــا»، والدِّيار جـمـيـعُـهـــا
فى مُــقْلَتَــيْــهـــا صُـــورةٌ لا تَغْــرُبُ
«والقـــدسُ» تَسكُنهـــا، ويسكنُ شـــوقُـــهـــا
المشـــبـــوبُ فى وجـــدانهـــا يَتَلَهَّبُ
ومـــآذنُ الأقـــصـى، وأجـــراسٌ عـلى
قُـــبَبِ الكنائسِ تَسْـتَــجـيـــرُ وتَنَدُبُ

(٥)

قُـــولوا لقـــاضِـــيـــهـــا: ظلمتَ وأعلنوا
أن العـــــدالةَ تُسْــــتَـــذَلُّ وتُحْــــجَبُ
قـــــولوا لَهُ: إن الـمَـــســـيحَ مُكَبَلٌ
فى القـــدسِ ثانيـــةً يُســـاقُ ويُصْلَبُ

قـــولوا: أتؤمنُ بالمســـيحِ فـــإنْ تَكُنْ
حَـقـا فَـفِـيْمَ تجورُ فـيـمـا تُذْنِبُ؟

أمِنَ الـعــــدالـةِ، أن تُدينَ بـريـئـــة
ظلمًـا.. ويقســو حُكمُكَ الـمُـتَـصَلّبُ؟

(٦)

سَـمَـرُ العــزيزةُ، فى ســواد عُـيُـونِنا
وقـلوبنا تَبـــقى ولا تَتَـــغَـــيَّبُ

فى غــزةَ البــيــضـاء، يُشْـرِقُ إسـمُـهـا
ولَهـا بهـا فـيـهـا المكانُ الأرحبُ

هى ابنةُ الوَطنِ الـعــزيزِ ونَبْـتُـه
تَزهو بهـا أجـيـالُنا وتُرَحّبُ

هى فى فلسطين، وفى تاريخـهـا
سِـفْـرٌ بآياتِ البُطولةِ يُكْتَبُ

(٧)

يَدمى فُـؤادى، كُلّمـا اذَّكَّـرتُهـا
وتَضِجُّ أخـيلَتى، أثورُ، وأغـضبُ

لا خـيلُ مـعـتـصمٍ، ولا أجنادُهُ
فى السَّاحِ ضَلَّ المنجدونَ، وغُـيَّبوا

أخـــتـــاهُ عـــفـــواً، يا أعـــزَ بنَاتنا
مـــا حـــيلتى، وأنا الشَّـــريدُ الـمُـــتْـــعَبُ

أنا شـــاعـــرٌ يا أختُ، ســـيـــفى كلْمَـــتى
فى الحَقِّ أجْـــبَـــهُ لا أخـــافُ وأرهبُ

هى قُـــدرتى هذى ومـــالى غـــيـــرُها
قَـلـمٌ أحـــــــــدُّ من الـسِّـنـانِ وأغْـلَـبُ

فـــإذا أقَـــصِّـــرُ عَنْكِ عَـــفْـــوك إنَني
أُخـــتي، وحَـــقكِ شـــاعـــرٌ ومُـــجَـــرِّبُ

لـكِـــنَّـــهُ زمـــنٌ ردىءٌ كَـــــــــــالحٌ
غـــــدارٌ يُنْذرُ بالخـــــرابِ وَيَنْعَبُ

فَـــتَـــجَـــمَّلي بالصَّـــبـــرِ، آت فـــجـــرُنا
مـــا اســـودَّ ليلٌ أو تطاولَ غَـــيْـــهبُ

القاهرة ١٩٩٧

الأرنب .. وأم إسماعيل

[مريم جمعة «أم إسماعيل» تعرفت إلى «عادل ترمس» أحد سجناء حزب الله أثناء زيارتها لزوجها جمعة المحكوم عليه بالسجن مدى الحياة]

(١)

أَحكى لكلمْ . .
عَنْ «أم إسماعيل»
حكايةً لامرأة عادية
مِنْ شَعْبِنا الأَصْيلْ

(٢)

يَحْكُونَ عَنْها
فى ليالى «القدسِ»
فى «نابلسْ»
فى «غزةَ» فى «عكاءَ»
فى «الخليلْ»
يحكونَ عَنْ موقفِها النَّبيلْ
وَحُبِها للأرنبِ الجميلْ

(٣)

«عادلُ» هذا الأسمرُ
السُّكَرُ
مِنْ وَطنٍ
مِنْ أجمل الأوطانْ
ثارَ على مُحتْلِ أرضه
وَقَاوَمَ العُدوانْ

(٤)

لأمِ إسماعيلْ
كُلَّ أسبوعين رِحْلتانْ
إحداهما للسِّجنِ
فى «الرَّملةَ»
والأُخرى للأرنبِ
الذّى تُحبُهُ
فى سِجْنِ «عَسْقَلانْ»

(٥)

«مَرْيَمُ»
مِثْلَ كُلِّ أمّهاتنا
لا تَعْرِفُ الرَّفَاهْ

ولَمْ تَذُق كَغَيرِها
مِنَ المُنعْمَاتِ
لذةَ الحياهْ

(٦)

«مَرْيمُ»
لَمْ تُفكرْ مَرَّةً
فى بَيتها المَنسُوفِ
فى أولادِها السِتَّةِ
فى البِنْتَينْ
فهؤلاءِ هُمْ أبناؤها
قَدْ سكنوا فى قَلبها
الحنونِ فى العَينينْ

(٧)

هَلْ صدفةً بأنها «مريمُ»؟
هذه السَّيدةُ الشَّمّاءْ
وأنَ إسَمها الذّى
تحملُهُ مِنْ أطهرِ الأسماءْ
وأنها على خُطى
أسماءَ، والخنساءْ

منذورةٌ للوطنِ الذّى
تُحِبُ للفداءْ

(٨)

أُحِبُكُمْ جَمِيعكمْ
أعيشُ صَبرَ أمهَاتِكمْ
أسكنُ فى سُقوفِ زِنْزِانَاتِكُمْ
تَدورُ رُوحى حولكُمْ
فى صَحْوِكُمْ، وفى مَنَامِكُمْ

(٩)

أَحْبَبْتُمو أنتمْ «فلسطينَ»
كَما أَحْبَبْتُها
افتَدَيْتُمو «لُبنانَ»
مِثْلما افتَدَيتُها
فَكُل كلمةٍ نطقتمو
بها وَعَيتُها
حَملتُها يَرِنُ فى أذُنى
أينَما أكونُ صَوتُها

(١٠)

يُسْعِدنى صُمودُكمْ

هذا الّذى قَدْ أعجزَ الظّلاَّمْ
سِيرتكمْ أحملُها معى
فى الصدر كالوسَامْ
أحكى ولا أملٌّ
فالحديثُ عنكمو
يطولُ يَعْذبُ الكَلامْ

(١١)

تقولُ أم إسماعيل
الأشرفُ الأحبُ لى
أبنائى الشهداءْ
والأشرفُ الأحبُ لى
أبنائى السُّجناءْ
مَنْ آثروا الجهادَ، والفداءْ
على قصورِ البذخِ، والثَّراءْ
فَهَؤلاءْ
لا يُنَافقُون أو يُسَاوِمَونَ
أو يَلبسونَ جُبة الرِّياءْ
لأنهمْ أنقى مِنَ النَّقَاءْ

(١٢)

فى كُلِّ رحلةِ
لأمِ إسماعيلَ
تَنْهَضُ السّفُوحُ ، والجِبَالْ
وَفَوقَها أسرابُ مِنْ عَنَادل
تَشْدو لها ، وَتُطلقُ المَوّالْ
المجدُ للرجالْ
المجد للأبطال
فى لَيْلِهِمْ فى سِجْنهِمْ
فى قَسْوةِ الأغلالْ
يُخَبِّئونَ فى صَدورهِمْ
تَفَجّرَ اللّظى ، وَثَورةَ الزِلْزالْ

القاهرة ١٩٩٧

رسالة إلى المبعدين

[كما أعراف الصنوبر وأكمام الياسمين، حملتهم
رياحُ السموم، ودفعت بهم إلى البعيد عن
الوطن.. ولكنهم هتفوا.. عائدون]

(١)

مـــاذا أقـــولُ لكمْ؟ وأعـــتـــذرُ   وأنا المســـافــرُ، هَدَّني السَّـفَــرُ
خــجـلانُ، مــا عندي سِـوىَ قلمي   ومَشَـاعـرى، بالهمِ، تَسْـتَـعـرُ
ألآنَ جُـنـديًا بمدْفَـعِـه   مُـتَـرَبّص، لصِـغَـاركمْ حَـذِرُ
يرمـيـهمُ غـدرًا ويرعـبـهمْ   وسـلاحُـهمْ فى وَجْـهـه حَـجَـرُ
والإحـتـلالُ تطاولتْ وقَـسَـتْ   ليـلاتُه، واشـتـدتْ الغـيَـرُ
فى وجـهـه أنتمْ، وغـايتُكمْ   أن يمحى عـنـكـمْ ويَـنْـدثـرُ
كُلُّ الشَّـرائعِ فى وثائقـهـا   أن يَنْتَـهِي هذا وَينْحَـسِـرُ

(٢)

أوَ تبـعـدونَ لأن غـاصَـبكمْ   فى وجـهـه تَتَـدافعُ الزُّمَـرُ؟
أوَ تبـعـدونَ لأنَ غـايتَكمْ   الحقُ والإيمـانُ والظَّفَـرُ؟
أوَ تبـعـدوُن لأن إخـوتكمْ   شُـدُّوا باغـلال الأذى أسـروا؟
فى التلفـزات تجيءُ صـورتُكمْ   والـثَّـلْجُ ليسَ يكـفُ والمَطَـرُ
الثلجُ يهـمى فـوقكمْ وعلى   خـيـمـاتكمْ يتكدَّسُ الكَدَرُ
وتكبـرونَ، يجيءُ صـوتُكمُ   بالصَّـبـرِ والإيمان ينفـجـرُ

(٣)

هَذِى الوُجــوهُ نَكَادُ نَعْــرِفُــهــا ... أيامَ، كَــبَّــرَ عــاليّــا عُــمَــرُ

وكــأنما من كَــبَّــروا بعــثــوا ... فى وجــهِ منْ بحــقــوقــهمْ كَــفَــرُوا

وكــأنما الشُّــهــداءُ، قــد نهــضــوا ... مــاذا أُعــدِدُ، إنهــمْ كُــثُــرُ

وكــأنما عــادتْ مُــجلجلةً ... أفــــواجُــــهــم بالحقِ تَأْتزرُ

هذى الوجــوهُ تَجِيءُ ثانيــةً ... فَــتُنَوِّرُ الدُّنيــا وتنبــهــرُ

للهِ فــوقَ الثَّلج ســجــدتهمْ ... تَحَتَ الســمــاءِ تَهــزُ من نَكَروا

متــمرســونَ على الصُّــمودِ فــمــا ... فى صــفــهــمْ خــوفٌ ولا خَــوَرُ

(٤)

تــلكَ المناديلُ التى ارتفــعــتْ ... يوَم الوداعِ، مَــشَــاعِلٌ حُــمُــرُ

من خلفكمْ أطفــالُ مــا فــتــئــوا ... للانتــفــاضــةِ عَــسكَرٌ مُــجُــرُ

فى التلفــزاتِ تجىءُ صــورتهمْ ... لتــقــولَ للمــوتى، ألا انتــشــروا

إنا حــمــلنا فــوقَ طاقــتنا ... وصــمــتــمــو وتكلمَ الحَــجَــرُ

فى التَلْفَــزاتِ نســاؤكمْ صــرختْ ... «الله أكــبــر» أينَ من نَصَــروا

بل أينَ مــعــتــصــمٌ، ونخــوتُهُ ... لا قــيس فى السَّــاحــاتِ لا مُــضَــرُ

(٥)

مــا عــادَ فى الميــدانِ من أحــدِ ... خَلَتْ الدِّيارُ، وغُــيِّبَ القَــمَــرُ

أينَ الرجــالُ، وأينَ نخــوتُهمْ ... أَيَن العــواصمُ إنهــا كُــثُــرُ؟

أو ليــسَ أهــلونا وأخــوتــنا ... من يقــتــلونَ، وتُذبح الأســرُ؟

أو ليس من حق لمن صـمـدوا … تحتَ الحصارِ ومن له صبروا
أن يصرخوا، حتى إذا ذُبحوا … أنْ يَنفروا حتى وإن قُهِروا؟
أيُحاكِمُ المقتولَ قاتلُهُ … ويُبرَّأُ الجاني، ويَنْتَصِرُ؟
فى أى عصرٍ نحنُ أيُ يد … هَذى التى تُملىَ وتَنْتَقِدُ؟
هذى التى للظلمِ جانحةٌ … والعدلُ مَغْلوبٌ ومُنْكَسِرُ

(٦)

تلكَ المناديلُ التى ارتفعتْ … راياتُ فوقَ الشَّمسِ تَنْتَشِرُ
يومُ الوداعِ وكُلُّ جارحةٍ … فى الأرضِ تصرخُ ذلَ من أمَروا
أو تبعدونَ.. لأنها صدقتْ … أهدافكمْ فى وجهِ مَنَ غَدَروا؟
ما رملةٌ الا وتَعْرِفُكُمْ … فيها ومنها: منكمُ أثَرُ
يترعرعُ الزيتونُ من دمكمْ … ويُنَوِّرُ الليمونُ يَزْدَهِرُ
تَرنو لعودتكمْ على لهفٍ … الدّوُر والسَّاحاتُ والشَّجَرُ

(٧)

أتَنَامُ، كيفَ تنامُ أعيونُنَا … وعيونُكمْ قَدْ مَسَّها الضَّرَرُ
مفتوحةٌ فى اللَّيلِ شاخصةٌ … مذهولةٌ تشجى وتُعْتَصَرُ
أننامُ والخيماتُ عاريةٌ … فى الرِّيح لا دفءٌ ولا سُتُرُ
ما ساعةٌ إلا ويُرعبنا … هذا الذّى تأتى به الصُّوَرُ
أهلوكم للهِ درهمو … ماذا وكيفَ عليكمُ صَبَروا

(٨)

أطفالكمْ، ونساؤكمْ حملوا … عبءَ الأمانةِ خُلَّصًا نفَروا

قــــالوا، علـى اسم الله خَطـوتُنا ... تَتَـــــلاحقُ الأهـداف والفِكَرُ
مـــــا هـالَهـمْ أن الـدُّنى نَكَـرتْ ... آمــــالَهمْ، وتنكَّر البَـــشَـــرُ
مـــا هالهَم أن العــــروبةَ نُكِّسَتْ ... راياتُهـــا وأصنــابهــا الخَـــدَرُ
همْ فى الحـصـارِ على عـهـودهمو ... مـــا هَدَّهُمْ جـــوُعٌ ولا غِــيَــرُ
ظلوا علـى الحقِ الذّى حـــملوا ... وتَجــرعـــوا الآلام واصطبــروا

(٩)

الـدَّعـمُ أيـنَ وايـنـهــــا قِــــمَـمٌ ... تَتْـــرى، ومُـــؤتمرٌ، ومــــؤتمرُ
أيـنَ الخـطـابـاتِ الـتـى هَـدَرَتْ ... أينَ البـــيـــانات التى ذَكَـــروا
ايـن الـقـــــرارات التـى سُطِرتْ ... لمْ يبقَ منهـــا بعضُ مـــا سَطَروا
ضـــاعـت كــأنَ الريحَ تَنْثُــرهـا ... بِدَدا فـــــلا يبـــقى لهـــا أثَرُ
قـالوا انتـفـاضـتكمْ مـبـاركـةٌ ... وأعــزُ مـــا جـادتْ به العُـصُـــرُ
وتُرِكْـتُـمـو للجـوعِ يَنْهَـشكمْ ... مـــجنونُ، لا يُبـــقى ولا يَذَرُ

(١٠)

يأتى الحــصـــارُ تلاحــقًــا وعلى ... أبيـــــاتكمْ، يتكـاثرُ النَّفَــــرُ
حتى الشعـوب، القـمعُ أخرسَـهـا ... وأحــــالهـــــا، بكاءَ تَنْحَـــدرُ
مــــا عندها حــــتى ولا قلمٌ ... يَروى حكاياكمْ ولا خَـــبَـــرُ
أمـا الصـحـافـةُ فـهى عـاجـزةٌ ... مــغلولةٌ، بكمــاءُ تَحْـتَـضِـرُ

(١١)

مــــاذا أقـــولُ لكمْ وبى لهفٌ ... لـلقــــائكمْ، والقلبُ ينفطرُ

فى الانتظارِ، تظلُ أرضكمُ　　مهما نأيتُمْ إنها القَدَرُ

ولسوفَ تبقى «عائدونَ» وإن　　طُمِسَتْ كَهَدْرِ الرَّعْدِ تنفجرُ

غنوا بها، واللهُ ناصركُم　　وتدرعوا بالحقِ وأتزروا

لا ترجعوا إلا لموطنكمْ　　فَدُروبُهُ الخضراءُ تنتظرُ

القاهرة ١٩٩٣

صرخة إلى السماء

[تنادى وزراء الخارجية العرب لاجتماع
طارىء من أجل المبعدين]

(١)

المُبْعَدُونَ، تَحَرُّقٌ وتَطَلُّعُ
نَحْوَ الألى، شَدوا الرِّحالَ وجُمِّعُوا
هُمْ فى انتظار، للقرارات التى
مِّنَ أجلِ عَوْدَتِهم تُسَنُّ وتُشْرَعُ
عَينى على الوزراء طالَ نِقَاشُهُمْ
والليلُ طالَ بِهِمْ، وطالَ المَجْمَعُ
حتى، وإنَّ، وكيفَ، فى قاموسهمْ
كلمات فى أخذ وردٍ تُوضع
لتجىءَ، أقوالاً يكَرِّرُ ذكرُها
يُجلى بها وجهُ البيانِ ويلمعُ
لجأوا إلى شَرْعيةٍ دولية
سُنَّتْ فَيُضْرَبُ من تشاء ويُقْمَعُ
ويطالبون، وليس من يدرى بِهِمْ
فى مجلس الأمن العتيدِ ويُسْمَعُ
هو للعدو مكرسٌ ومهيأٌ
فَيَسِنُّ، ما شاءَ العدو ويُشْرِعُ
ما مرةً ألقى بثقل جهوده
للحق يعلى شأنه ويُمَنِّعُ

كلُّ القـرارات التي في درجه
خُبِثَتْ تعطلُ عنده وتَصَدَّعُ
من مجلس الأمن العتيد تواليا
تأتي القراراتُ التي لا تَنْفَعُ
هي لُهيةٌ، يلهو بها شيطانُه
لنظل في أحوالنا نَتَقوقَعُ
يدُه تطولُ ترابَنا وسماءنا
وعدُونا في خيرنا يتَمَتَعُ
يُحْمَى بأسلحة الدَّمَار جميعها
ونُصَدُّ عَنْ حق الدِّفاعِ ونُمْنَعُ
ما شاءَ يُلجِمُنا كأنا عندهُ
خيلٌ تشَدُ كما يشاءُ وتخضَعُ
هم يُنكِرونَ شعوبنا حتى إذا
صرختْ، فإنَّ صُراخَها لا يُسمعُ
الطائراتُ حَوَاشِدٌ في أرضِنَا
فَتَدكُّنَا أنى تَشَاءُ وتَقْمَعُ
وبحورُنا فيها يجوبُ عدونا
يُحصي علينا ما نَقُولُ ونَصْنَعُ
آلافُ راداراتهِ مِنْ فَوقنا
من تحتِنا في كُلِّ ركنٍ تَقْبَعُ
والصَّمْتُ في كُلِّ الدِّيَار كأنَهُ
ليلٌ طويلٌ فوقنا يَتَربعُ

لا نامةٌ، لا نسمةٌ لا كلمةٌ
لا أي شيء عندنا يُتَوقَعُ

(٢)

والمُبْعَدُونَ هناكَ فى أحزانهمْ
خُذلوا، فما جاءَ القرارُ المُقْنِعُ
حربانِ، حربٌ للعدو شديدةٌ
ومن الطبيعة هجمةٌ تَتَدفَّعُ
الثلجُ والمطرُ الغزيرُ، ولفحةٌ
للْبَرد فى خيماتهم تَتَوزَّعُ
والجوعُ، والظمأ المريعُ، وقسوةُ
الآلام، والأرضُ العراءُ البَلْقَعُ
ويُقالُ ان شُعُوبَنَا مَعْنيَةٌ
بهم، لأجلهم تهبُّ وتُسرعُ
ويظَّلُ حالُهمُ، كما هو لا يدٌ
تأسو، ولا عينٌ لهم تَتَطلَّعُ
ما عندهمْ، إلا انتفاضةُ شعبهمْ
فى كلِّ يومٍ، باسمهمْ تَتَوجَعُ

(٣)

ياقَوْمَنَا في كُلِّ أرض إنَني
آتِ اليكمْ، لهفةٌ اتَضَرَّعُ
إنى لأسْألكمْ، بحقِ كتابكم
يُتلى، وآياتِ تُنيرُ وتسْطَعُ

هل حقُّ اسرائيلَ أن تَلهو بكمُ
وتظلُّ فى غلوائها تَتَمتعُ
ماذا تُرى قلتم لها، وهى التى
فُى كلِّ يوم، غزوها يتوسعُ
أو ليسَ لبنانٌ، تَرى من أرضِكمْ ؟
فعلامَ يُتْرك وحدَه يتلوَّعُ ؟
أو ليستْ الجُولانُ بعض دياركمْ ؟
أو ما لكمْ فيها أذانٌ يرفعُ ؟
أو ليستْ القدسُ الشريفُ مدينةُ
الرحمن، شيدها السُّجُودُ الرُكَّعُ
أو ليس، للإسراءِ فى أذهانكمْ
ذكرٌ يحرككمْ، وأمرٌ يُدْفَعُ
ماذا أقولُ لكمْ، وما فى جعبتى
عنكمْ، كثيرٌ، لا يُقالُ ويُسمعُ
ما عادَ عندى، ما أباهى باسمكمْ
ضُيِّعتُ، واأسفاهُ فيمن ضُيِّعوا
متناحرونَ فكُلَّ يوم قصةٌ
عنكم لها يَندى الجبينُ ويُصْفَعُ
تتجمعونَ فيفرحُ الوطن الذى
انتم لهُ، واليكمُ يتطلعُ
ونَظَلُّ فى احزاننا، وعذابنا
ونظل مِن كأس الأسى نَتَجَرَّعُ

(٤)

هو حالنا هذا وتلك حُدودنا
أصفارُ لا تُحصى، ولَيْسَتْ تُجْمَعُ
إنا نُباهى عِنْدَنَا ثَرواتنا
وجيوشُنا وحُشُودُنا، والموقعُ
مُتَفَرِقُونَ، ولا سبيلَ لجمْعنا
مُتَقَاتِلونَ، وكلّ يوم نُصْرَعُ
هَذا على هَذا، ومَا مِنْ واحد
منّا يقولُ كَفى، ولا يَتَرَفَعُ
هل بَعْدَ إسرائيل شيءٌ آخرٌ
في العالم العربى، بَعْدُ يُبَرْطِعُ؟
الطائراتُ تجوبُ فى أجوائنا
أنّى تشاءُ، كما تشاءُ تُلعلعُ
تَرمي الدَّمَارَ لأنها شَرْعيةٌ
شُرعتْ لنا، وبها نُصَدُّ ونُمنَعُ
من قالَ ان سماءَنا ليستْ لنا
فى أىّ شرع لا نَرُدُّ ونَرْدَعُ
هى شِرْعَةٌ دوليةٌ للمعتدي
يرمى بها أوطاننا ويُروِّعُ
ما ذنبهمْ من أبْعدوا أو عُذِّبوا
ما ذنبُ من ذاقوا الحصارَ وجُوِّعوا

ما ذنبُ مَرْضاكُمْ، يظلُّ دواؤهم
عنهمْ، بعيداً لا يُطالُ وينفعُ ؟
أهناك انسانيةٌ غيرَ التى
تُحمى، بزحف جيوشهم وتُدّرعُ ؟
أو لستمو بشراً اليسَ صغارُكمْ
اطفال، مثل صغارهم تَتَلّوعُ ؟
عادَ الصليبيونَ، ان حشودهمْ
من كلِّ انحاء الدُّنى تَتَجمعُ
هى حملةٌ أخرى، تدقُّ بِعُنْفها
أبوابَنَا ليلاً نهاراً تَقْرَعُ
نَصْحُوا ننامُ على هدير حُشُودها
فى كُلِّ أرض حُولنا تَتَوزّعُ
تَختارُ أسْبَابًا، وتُخفي غَيْرَهَا
ويأيما سَبَبٍ لها تَتَذَرَعُ
ونَظَلُّ نحلم أن نُحَقِقَ وِحدةً
كُبرى، ونَركنُ للخمولِ ونهجعُ
ونغطُ فى أحلامنا، وأمَامَنا
الدُّنيا، تُحَققُ ما تَشَاءُ وتَصْنَعُ
يا إخوتى مَرجُ الزهور منورٌ
بكمُ بنفح اريجكمْ يتضوعُ
لو يستطيعُ لصاغ من اسمائكم
درراً تنورُ فى السماءِ وتسطعُ

عُمري الذّي قَضّيتهُ متفائلاً
أشدو بآمالي الكبار وأبْدعُ

تنجابُ عن عَينيّ مِثلَ غشَاوة
أحلى الأمانيُّ العِذابُ وتُنْزَعُ

ماذا سَيُتْركُ للآلي من بعدنا
يأتون، تاريخٌ اليمٌ موجِعُ

يا إخوتي هذا أنا أبلغتُ من
عُمري الذّي أبْلغتُ لا أتَزَعْزَعُ

قَاتَلْتُ بالقلم الجريءِ وخضتُها
شتى المعارك صامداً لا أرجعُ

واليومَ ذا عُمُري، وهذي أمتي
ماذا أقولُ لها وماذا أسمعُ ؟

يا ربُ هذي أمتي ذا حالُها
فاليكَ وحدكَ شعبُنا يَتطلّعُ

تونس ١٩٩٣

قصائد الانتفاضة

قصيدة للانتفاضة

[فى فلسطين إرتفعت شعلة الانتفاضة المباركة
قبسا من نور يهدى المدلجين إلى
فجر الحرية والنصر...!!]

(١)

لنْ يكْسِروا شوكةَ الشعبِ الَّذى وثَبا ... ولن يطأطئ رأسٌ، طاول الشُّهُبا
هَذى فلسطينُ، والتاريخُ يعرفُها ... فكمْ على أرضها، كَمْ شَبَّ وانتْصَبَا
فَرَمْلَةٌ منْ ثَراها، لا تُعادلُها ... خزائنُ الكونِ، لا مالاً، ولا ذَهَبا
تعطرتْ بدَمِ الأحرارِ تُربتُها ... وُضُمِّختْ بشَذى أذيالهمْ، حِقَبَا
أنَّى تلفَتَّ، فالآثارُ خالدةٌ ... تمدُّ أعراقَها، جاهًا لنا، حَسَبا
فى كُلِّ منُحْدرٍ، أو كُلِّ مُرتَفَعٍ ... تَساميًا تنْشرُ الأعلامَ، والطُّنُبا

(٢)

الانتفاضةُ، إعصارٌ، وعاصفةٌ ... وَهبةٌ، أشعلتْ فى أرضنَا اللَّهبَا
أتت، إلى الغَاصبِ المُحتلِ تُوقظُهُ ... على هدير، على أبوابه اصْطَخَبَا
«اللهُ أكبرُ»، يومَ الهول رَدَّدَها ... أبطالُها الغُرُّ، كانوا باسمها الخُطبا
قدْ لَعْلعتْ فهديرُ الموجِ أرسلها ... تَلاحقًا، تُعلنُ الإرزامَ، والصَّخبَا
منْ شاطئِ الشَّوق، حيثُ العائدونَ به ... فى الانتظارِ، إلى الفجرِ الَّذى اقتْرَبا

أطَالَ ليلٌ . . ؟ وكمْ ليلٍ عَلَى وَطنى تطاولاً حَطَّ حتى زالَ واحتجَبَا

(٣)

الانتفَاضَةُ، زلزَالٌ، وملحمةٌ وثورةٌ، تتَحدى، الجيشَ، والغُربَا

أتتْ كما الفجرِ، من أعماقِ داجيةٍ سوداءَ، تبتكرُ التَّصميمَ، والغضبا

تحركتْ فى الحَنايا، حينَ عاصفُها يصُبُّ جام اللَّظى، مُستنْسداً لجَبَا

يمتدُّ منْ غزةَ الشمَّاء لاهبُهَا للقدس مُنْدفعًا فيها، ومُنْسربَا

وتعتلى فى جبالِ النَّارِ شُعْلتُها تعيدُ فيها زمانًا رائعًا خَصبَا

لنا ٠٠ لنا الأرضُ، آمالٌ مقدسةٌ على ثَراها نثرْنَا الجُرْحَ مُنسكَبَا

(٤)

من شاطئ البحرِ، حتى النهر موطُننا وسائلوا التّينَ، والزَّيتون، والعنَبَا

وسائلوا المسجدَ الأقصى، وقُبتَهُ ومهدَ عيسى، ومْن صلى ومْن خَطَبَا

من غيرُنا، فى مدى التاريخِ وَقْفَتُهُ تردُ عنهُ الأذى، والحقدَ، والنُّوبا

ومْن سوانا تحدَّى الزاحفينَ إلى أرضِ السَّلامِ، ومنذا غيْرُنا، صَلُبا

من عَهْدِ كنعان، والفاروق باقيةٌ آثارُنا خالداتٌ، تملأُ الكُتُبَا

(٥)

قُلنا فلسطينُ . . فاهتزتْ جَوانحُنَا منَ الحنينِ، . . وشَبَّ الشُّوقُ والتهَبا

آباؤنا، فى ثَرى أقداسِها جُبلوا ولَنْ نخُونَ ترابًا، بالدَّمِ اخْتضبا

إنَّا حَمْلنَا، على أكتافنا زَمناً عبءَ القضيةِ، لمْ نُنكرْ لها طَلَبَا

ظلتْ فلسطينُ، وَشْمًا فى مَفارِقنا نقشًا على القلبِ، فى العينينِ قدْ صُلبا

لم نَخْتَبِيءْ، خَلْفَ رمزٍ لا يُفسِّرُنا ولا خَبَأنا اسمها، فى كُلِّ ما كُتبَا

ولا جَعَلنا فلسطيناً مُغلقةً بين السُّطور، تُعانى الجُهدَ والتَعبَا

مُنوَّرٌ إسمها فى كُلِّ ما سَطَرتْ أقلامُنا تنشرُ الأقمارَ والشُّهُبا

نادتْ بنا، . . وصغيرًا كانَ فارسُها تقدمَ الصَّفَّ، يمضى، شامخًا طَرِبًا

يرمى الحجارةَ، شَلالاً يواجههمْ لا يعرفُ الخوفَ، لا يستمرئُ الهَربَا

يضيءُ فى حُلكة الظَّلماءِ شمْعتَهُ تحديًا يَقْحَمُ الأستارَ والحُجُبَا

وكُلَّمَا لألأتْ فى الأفقِ بارقةٌ تطاولاً مَدَّ كَفَيْه لها وثَبَا

طفلٌ نعمْ، واقرأوا فى سِفْرِ ثورته مَنْ مِثْلهُ شُدَّ نحوَ الموتِ وانْجذبا

أعيى عتاولةَ الإرهابِ أعجزهمْ وعارِىَ الصّدرِ لاقى حشدهمْ، ضَرَبا

(٦)

هذا الصّغيرُ الّذى اغتليتْ طفولتُهُ ماذاقَ فى عمره لهواً، ولا لَعبًا

ولا استراحَ إلى صدرٍ يُهدْهدُه كما الصِّغار، ولا غَنى، ولا طَرِبًا

لفَ الجناحَ، على جرحٍ يُعَذِّبُهُ وآثرَ الصَّمتَ محزونًا، وما عَتبَا

فَأمَّةٌ هو منها ، ليس يُنكرُها لأنهُ باسمِها، قدْ فَجَّرَ الغَضَبا

يواصلُ البذلَ، مشدودًا لغايته ما كَلَّ فى ساحةِ للبَذْل، أو تَعبَا

يَدرى بأنَّ الّذَى فى كفه حجرٌ يواجهُ الغادرَ الغازى، ومَا جُلبا

(٧)

هذا الصَّغيرُ، عظيمٌ فى انتفاضته — اختارَ من رائعِ الغَايات ما صَعُبَا

هيهات تَسْطيعُ، أجنادٌ مُدَرَّعَةٌ — أن تقهرَ الحقَّ، أو أن تَقْبُرَ الأربا

فالانتفاضةُ، تبقى فى تُوهجها — حتى تُحققَ منها النَّصْرَ والغَلَبا

حتى تعيدَ، أمانينا التى سُلبتْ — حتى تردَ الذى قد ضَاعَ واغْتصُبَا

مُبَشَّرٌ بصبَاح النَّصرِ فارسُها — واللهُ ينصرُ من لَبى، ومَنْ طَلَبَا

تونس: ١٩٨٨

الشبل الصغير

[قيلت فى الاحتفال الكبير، الذى أقامه التجمع الدستورى الديمقراطى بتونس ومنظمة التحرير الفلسطينية احتفالا بذكرى يوم الأرض]

(١)

صَغيري . . أيها الشبلُ الصَّغيرُ
ويا مَنْ فِعْلُهُ . . فِعْلٌ كبيرُ
وُلِدْتَ إذ الليالىَ حالكاتٌ
فلا نجمٌ يلوحُ، ولا بَشيرُ
ولا صَدرٌ تَلوذُ إلى حِمَاهُ
ولا بيتٌ حَواكَ ولا سَريرُ
رأيتَ بأمِ عَينْكَ أىّ ظُلمٍ
يُحُوطُكَ لا يُزَحْزَحُ أو يَغُورُ
أبوكَ مُطاردٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ
وأُمُكَ فى مَآسيها تَحيْرُ
وفى سِجْنٍ شَقِيْقُكَ لا تَرَاهُ
وراءَ اللّيلِ مُعْتَقَلٌ أسِيْرُ
وَتَنْمو والأسى طُولاً وعَرضًا
وفى الأحزانِ تُغْرِقكَ البُحُورُ

يَطُولُ الإحتلالُ ولا مُغِيثٌ
مِنَ الوَطَنِ الكَبِيرِ ولا مُجِيرُ

(٢)

وأقْدامُ الفِداءِ مُكَبَّلاتٌ
يُحَاصِرُها، المُراوِغُ والأجِيرُ
إذا عَبَرتْ اليكَ فألفُ واشٍ
يُنَدِّدُ، أو يُفَنِّدُ أو يَثُورُ
يَقُولُ الأبرياءُ هُمُو إذا مَا
دَعَاكَ الثَّأرُ أو ضَجَ النَّفيرُ
صِغَارُهُمو، وَنِسْوتُهم عليهِمْ
يَطُولُ النَّدبُ والحُزنُ المُثيرُ
وتَخْرُجُ مِنْ مَكَامِنِها الأفَاعِي
تَفُحُ بِسُمِّهَا حِقْداً تَفُورُ

(٣)

نُسَائِلُهمْ، مَنْ إجتَرأوا عَلينا
وراحَ نَقيقُ حِقدهمو يَمُورُ
ألِلإنسانِ عِندَهمو حُقُوقٌ
وَيَعْمى عَنْ مآسينا الضَّمَيْرُ

أيأتي مِنْ أقاصي الأرضِ قَومٌ
تُقامُ عَمَائرٌ لَهُمو ودُورُ
ويُطرَدُ أهْلُنَا ظُلْماً وقَهْراً
ولِلتشريد يُسْلِمُنا النَّذيرُ
وتلكَ الأرضُ كَمْ شَرِبَتْ دِمَانا
وتَشْهَدُ فى تَواليها العُصورُ
بأنَّا لَمْ نَهُنْ يومَاً وأنَّا
لَها نَحْنُ العَطايا والنُّذُورُ

(٤)

تُحاصَرُ الانتفاضةُ وهى منْهُمْ
لَهُمْ، ويُحاصَرُ الشَّعبُ الجَسُورُ
وفى أخبارِهمْ تأتى اقْتِضَاباً
وَفى الأقْمارِ يَنْقُلها الأثيرُ
يُحَدِّثُ عَنْ بُطولَتِها ويَروي
حَكَاياها، سَفِيرٌ أو وزيرُ
ويَرْجُمُها ويُخْذِلُها أُناسٌ
أذلاءٌ، ويَشْنُوها حَقِيرُ
يَشُكِّكُ فى تَواصُلِها ويَهذي
ويأخُذُهُ التَّطاوُل والغُرُورُ

فَيَسْألُ كُيفَ هَلْ حَجَرٌ يُلاقى

الجَحَافِلَ، وَهى عَارمةٌ تُغِيْرُ

وَيَعْجَبُ كَيْفَ تَنْدَفِعُ الصَّبَايا

وكَيْفَ تَهبُّ للثارِ الخُدور

وكيفَ يواجهُ الأطفالُ جيشًا

تدَّرعَ، كيفَ يَلتَهبُ الشُّعورُ

حَديثُ الانتفاضة فوقَ هذا

تَطُولُ بِه الصَّحائفُ والسُّطورُ

ولا يدريهِ إلا من وعاهُ

ومن عاناهُ يعرفُ ما يَدورُ

هنا فى تونسِ الخضراءَ منا

لنا شَعبٌ بهِمَّتِه كَبِيْرُ

نزلناها، وقد ضاقتْ ديَارٌ

بثورتنا، وقد ضاقتْ ثُغورُ

فكانوا الأهل والأنصارَ حباً

تلقتنا، الجوانحُ والصدورُ

سنحفظُ تونسَ الخضراء عهداً

علينا، إنه العهدُ الأثيرُ

سنذكرهُ غداةَ النصرِ يومًا

يُخلِّدُ ذكرهُ الشَّعبُ الغَيورُ

فنحنُ، وأنتِ أدرى بالضحايا
إذا ما الشعبُ حاصرهُ المُغيرُ

ويومُ الشطِّ لن يُنسى وإنا
معاً في درب ثورتنا نَسيرُ

يُعيدُ لسيدي يوسفَ ذكرياتٍ
خوالدَ، ليسَ تنساها الدُّهورُ

هو الشُّعبُ المُساندُ والمُضَحي
تجذَّرَ فيهِ، والتحمَ المُصيرُ

كذا تَبْقى العُروبةُ لا هراءٌ
ترددهُ المحافلُ والقُصُورُ

هي الدَّمُ في العروقِ وفي الحنايا
وفي الميدانِ زلزالٌ جَهِيْرُ

لنا لا غيرُنا، الوطنُ المرَّجى،
جبالٌ أو رمالٌ، أو صخورُ

ومن رفح إلى صفد ندانا
يظَلُّ مجلجلاً عالٍ يَمُور

وتبقى الإنتفاضة في لظاها
إلى أن يشرق الفجرُ المنيرُ

تونس ١٩٨٨

وقصائد لِغـــزّة

« غـزة..المحاصـرة »

[ليس جديداً حصار المدنية العظيمة غزة،
فكم حاصرها الغزاه عبر التاريخ. !!
وكم إرتدوا عنهـا خائبين]

(١)

تُحَاصَرُ، لَيسَ يُرْهِبُها الحِصَارُ — ولا القَصْفُ المَرَوّعُ والدَّمَارُ
فَغَزَةُ، قلعةٌ، صَمَدَتْ طويلاً — وتَصْمدُ لا يُفَزِّعُها العِثَارُ
سنينٌ، وهى عنوانُ التَّحدى — لَها فى وجهِ غَازِيها اقتدارُ
لها وَقَفَاتُها، زَمَنًا طويلاً — تصدُّ المعتدينَ إذا أغاروا
تواجههمْ ومَا فيها جبالٌ — لتحميها ومَا فيها جدَارُ
وليسَ تخافُ والضَّرباتُ تأتى — على أبياتِها، وَتشُبُّ نارُ
لها السَّيفُ المُجَلَّى لا تُبالي — بما حَشَدَ الألداءُ الكِثَارُ
على أبوابِها كُسِرَتْ يهوذا — وعَنْ أعتابِها دُحِرَ التتارُ
لها فى نَجْدَةِ الأوطانِ سَبْقٌ — جَرِىءٌ لا يُشَقّ لها غُبَارُ
فأهْلُوها على دَرْبِ التَّحدى — غِضَابًا، فوقَهُ انتفضوا وساروا
لهم فى الجوعِ صبرٌ واحتمالٌ — وليسَ لهمْ على الذّلِ اصْطِبَارُ

(٢)

مـغلَّقَـةٌ، حـدودهمـو عليـهمْ ... فـلا عـونٌ يجيءُ، ولا اعـتـذارُ
ولا إن طُـوردَ المظـلـومُ منـهـمْ ... يلاقي بالحنان، ولاَ يُجَـارُ
فكَمْ أمٍ بهـا، فـقـدتْ بَنيـهـا ... فـمـا لَطَمَتْ، ولا شُقَّ الإزارُ
وكَمْ شـيخٍ، عليـهِ هوتْ عِـصىٌّ ... فـمـا ذُلَّ الشُّـموخُ، ولا الوقـارُ
وكَمْ طفلٍ، بألفٍ مِنْ رجـالِ ... يُلطِّخُ رأسـهـمْ خـزيٌ، وعَـارُ
يُلاقي الـدَّارعـاتِ، ومِنْ يديهِ ... على الأعـداءِ، تنهـمـرُ الحـجَـارُ
أطفـلٌ ذاكَ؟ أمْ بطـلٌ جـرىءٌ؟ ... يحـارُ به الوجـودُ، ولا يَحَـارُ
فَـمـنْ رَفَحٍ شَـواظُ النَّار يعلو ... «لبـيتِ حنونَ»، ينتـشـرُ الأوارُ
فكلُّ مُـعَـسْكَرٍ، جـيشٌ كَـميٌ ... على أقـداسِ أمَّـتِـه يُغَـارُ
أشـاعَ اللاجـئـونَ به دَوِّيا ... لَهُ في مَـسْـمَعِ الدُّنيَـا دُوَارُ
هو الشَّـعبُ الفـدائيُّ المُـرَجَّى ... له في البَـذْلِ سَبْقٌ واقـتـدارُ
وغـزةُ أينمـا دارتْ عُـيـونٌ ... فـثـمـةَ ألفُ مـعـركـةٍ تُدارُ

(٣)

وفي «مـرجِ الزهورِ» هناك منهـا ... رجـالٌ خُلّصٌ أسْـدٌ خِـيـارُ
على عـهـدِ الوفـاءِ، وإنْ تناءتْ ... بـهـمْ أرضٌ وإن بَعُـدتْ ديارُ
هُـمـو يدرونَ أن الحـقَّ بـاقٍ ... ومـا لهـمـو عَنِ الحقِّ انحسَـارُ
أرادوا الصَّعبَ، وانتجعوا طريقًا ... مُلَغَّمَـةً، ومـا ضَعُفُوا وخـاروا

هم الأقـوى، وإنْ خُـذِلَـتْ نفـوسٌ   دنيـــاتٌ، ولطَّخـــهـــا الشَّنارُ
فَـغَـزَّتُهمْ، بِهِمْ، تسـمـو شـمـوخًـا   وَفَـوقَ جَـبِـيْنها يَعْلُو الفَـخَـارُ
فـمـا تُلهـيـهـمـو، عَـمَّـا أرادوا   مَناصبُ، أو مكاسبُ، أو عـقـارُ
كـأنهـمـو الأوائلُ، يومَ جـاءوا   بدعـــوتهمْ وفـى الدُّنيـــا أناروا
همـــو للحــسنيين بهم نزوعٌ   وطُلَّابُ الشَّـــهـــادةِ منذ ثاروا

(٤)

فـيـا وطن العـروبة، أين منهم؟   صِـلاتُكَ، والتـفَـاتُكَ، والحِـوَارُ
وأينَ تُراهـم الأنـصــارُ، منهمْ   وَفـيـمَ تَخَلَّفُــوا عَنْهمْ وغَـــاروا
فـلا أجنادهمْ، تبـدو احـتـشـادًا   لنَجْـدَهم، ولا يهـتــز جـارُ
وأسـيـافُ العـروبة، وهى كُـثـرٌ   مُـثَلَّمَـــةٌ وليس لهـا شِـفَـارُ
تَكَسَّـحتْ المروءةُ فـهى خـجلى   يُعَطلُهـــا التَّـخَلفُ والفـرارُ
فَـلا مِنْ صَـخْـوَةٍ منهمْ تُلبى   ولا مِنْ نخـوةٍ فـيـهمْ تثـارُ
لهم «قـمـمٌ» يحـار المرءُ فـيـهـا   ومـا فـيـهـا لما يجـرى اعـتـبـارُ
تنادي بالسـيـاسـةِ وهى خـزيٌ   أمـامَ المعـتـدي البـاغي، وعـارُ
فـمـا تجـدي، إذا اخـتـلَّتْ وضلَّتْ   مـوازينٌ وأعْـجَـزَها القَـرارُ
ومـا نفعُ العـقـول إذا تسـاوى   لَدَيهـا مَنْ يُضـيْـرُ، ومن يُضَـارُ
تطـاردنا بُغَـاثُ الطَّيـر أنّى   نزلنـا لا نُحَبُّ، ولا نُجـارُ
وتلحـونا بأقـلام تَدَنَّتْ   لَهـا فى كُلِّ مَـوبَأةٍ شـعـارُ

تَهِيُج كَمَا دبابيرِ علينا ... وتَلْسَعُنَا، ويُؤذينا السُّعَارُ
ضَمَائرُها مُعَطَّلَةٌ، وفيْها ... تَرَبَّعَتْ المذلةُ والصَّغَارُ
وغزةُ فى مَعَارِكِها افتداءٌ ... صَبَاحَ، مساءَ، يعلو الإنفجارُ
فَلَيْسَ تنامُ، والمُحْتَلُ ظُلْمًا ... لَهُ فيها وُجودٌ وانتشارُ
تُضَحّي فى سَبِيلِ النَّصرِ مَهْمَا ... يَضِيقُ بِها ويشتدُّ الإسارُ
وتؤمنُ أنهُ ما طَالَ ليلٌ ... بِها، إلا وأعقبهُ نهارُ

القاهرة : ١٩٩٢

غزة لا يغرقها البحرُ..

[تمنى رابينْ لو أنّ البحر يُغرقُ غزة]

(١)

عَروسُ البحرِ، يارابينُ لا يُغرِقُها البَحرُ
ولا يُغرِقُهَا الحِقْدُ الذى تحملُ والشّرُ
فكمْ أيدٍ كَسَرتَ بِها، وما ركَّعَها الكَسرُ
وكمْ أمٌّ بها رَمّلتَ، ما أرهَبَها الغَدْرُ
وكم طفلٍ بها يَتّمْتَ، شَبَّ لواؤهُ الثّأرُ

(٢)

حِجَارتُها التى ثارتْ بوجهكَ عسكرٌ مُجْرُ
صِغارٌ مِنْ براعِمها تفح كأنها الجَمْرُ
صغارٌ مثلُ موجِ البحرِ، مادُحروا ولا انجرُّوا
تطأطئُ هامةُ الدُّنيا، لهمْ ويُطأطئُ الكِبْرُ
أعادونا إلى التّاريخِ، منهُ المجدُ والفَخْرُ

(٣)

وغـــزةُ هذه القلعـــةُ مـــا زلزلهـــا القَـــهْـــرُ
ولا أرهبَـــهـــا هذا الحِـــصَـــارُ الشَّـــائنُ المُرُّ
ولا ذلتْ، ولا هَانَتْ ولا استـــخـــذى بهـــا نسْـــرُ
وليس يبـــاعُ فى سُـــوقِ النَخـــاســـةِ عندَها شِـــبْـــرُ
عـــروسُ البـــحـــرِ، يحـــضنهـــا النَّدى والضَّـــوءُ والعطْرُ

(٤)

لنـــا غـــــزةُ ياهـــذا، لنا رُبَـــواتُهَـــا الخُـــضْـــرُ
لنا الشُّطآنُ والسَّـــاحـــاتُ، والأشـــجـــارُ والزَّهْرُ
لنا زيتُـــونهـــا المســـروقُ، والجُـــمَّـــيْـــزُ والتَّـــمْـــرُ
لنا ليـــمـــونُهـــا وكـــرُومـــهـــا وعطاؤها البكْرُ
لنا الشَّـــمسُ التى تعلو نـــواحـــيـــهـــا لنـــا البـــدْرُ
فكيف البـــحـــر يُغـــرقـــهـــا ومنهـــا الحُبُّ والخـــيـــرُ
وفـــيـــهـــا يُرفعُ التَّكبـــيـــرُ عـــالٍ، يَنهضُ الذُكـــرُ
ودقـــاتُ النَّواقـــيسِ العـــذابِ كـــأنهـــا الشّـــعـــرُ
مـــدينتنا مـــقـــدســـةُ التُّـــرَابِ رداؤها الطُّهـــرُ

(٥)

لغـــزةَ تخـــشعُ الأمـــواجُ، يَعْنُو المدُّ والجـــزْرُ
ويدري البـــحـــرُ أن لهـــا، وليسَ لغـــيـــرِها الأمـــرُ
تقـــولُ لهُ على الأعـــداء كُـــرَّ، إذا هُـمُـــو كَـــرُّوا
فكمْ مِنْ حـــولـهـــا الأعـــداءُ رُدُّوا ذلةً فـــرُّوا
وكم غـــيَّـــبَـــهمْ مـــوجٌ، وكمْ واراهمُ قَـــبْـــرُ

(٦)

فـــغـــزةُ هاشمٍ هذى، لهـــا من ذِكـــره ذِكْـــرُ
عـــروبتُـــهـــا على التـــاريخِ، يَحْـــفَظُ إســـمـــهـــا الدَّهرُ
فـــمن كنعـــانَ حـــتى مُنتـــهى الدُّنيـــا لهـــا الصَّـــدْرُ
وغـــزةُ فى كـــتـــابِ المجـــدِ، خَلَّدَ إســـمَـــهـــا عَـــمْـــرو
حُـــمـــاةُ الدّارِ أهلوُها، بهـــا ولأجلهـــا قَـــرُّوا
عـــمـــاليقٌ فـــوراسُـــهـــا، أباةٌ عَـــسْكرٌ كُـــثْـــرُ
فـــمـــا خُلعـــوا ولا ركـــعـــوا ولا أعـــيـــاهمُ الصَّـــبْـــرُ
مـــيـــامينٌ لهم فى الحـــربِ، إمـــا لوَحتْ قَـــدْرُ
وليسَ لناكصٍ عنهـــا إذا مـــا دُوهمتْ عُـــذْرُ

(٧)

تقولُ البحرُ يُغرقُها، وتحلمُ لو بها يَذروا
ومنها يهدرُ الزّلزالُ فيها يُجمعُ الحشرُ
لأن مدينةَ الأبطال لا يَهْنَى بِهَا الغَيْرُ
فَمنْ «شمشون» حتى أنتَ، حتى ينتهى العُمْرُ
تظلُّ عصيةٌ غزةُ، يبقى شعبُها الحرُّ
يؤرق أعينَ الأعداء لفحُ صمودها المُرُّ

(٨)

هنا غزةُ، يعلو صوتُها، يتفجرُ النَّبْرُ
بأنَ لنا وليسَ لكمْ، بها يتنفسُ الفَجرُ
وإن لنا وليسَ لكمْ، بها يتحققُ النَّصرُ
يقولُ صِغارُها البُسلاء يعلو ينهضُ الجهرُ
عروسُ البحرِ يارابينُ، لا يُغْرِقها البَحْرُ

القاهرة : ١٩٩٢

عـودة الغـائب

[.. فى أحضان غزة - بعد غياب سبعة وعشرين عاما]

(١)

أتيتُ غَـزَّةَ، طيـراً شـارداً تَعِـبَـا
قَـضَى سنينًا طَريدَ الدَّارِ مُـغْـتَـرِبا
مُـجـرَّحَ القَلْبِ، مَكلومَ الفُـؤاد فَـمَـا
لَديه عـانى كَـثـيْـراً، جُـرِّعَ السَّـغَـبـا
وقـفتُ فى بَابِهـا، لَهـفـانَ مُنتَظِراً
إِذْنَ الدُّخُـولِ، مَـشُـوقَ الرُّوحِ مُـرْتَقِـبـا
أبعـدَ كُلِّ سِنينِ العُـمْـرِ، يوقِـفُنِى
فى بَابِهـا، غَـاصبٌ، مـازالَ مُـغْـتَـصِـبـا؟
يَقُـولُ لى، وهو بالعـينينِ يأخُـذُنى
منَّ حَـيْـثُـمـا جئتَ، عُـدْ. . يا أنتَ مُنْقَلِبـا!!
أعـودُ كَـيفَ. . ؟ فَـيُلقي نَظْرَةَ جَـرحَتْ
قَلبي، أثارتْ به الأحـزانَ والغَـضَـبَـا
هذا الغَـريبُ، كـمـا الشَّيطان يوقِـفُنى
فى بَابِ غَـزَّةَ. . ياويلاهُ، يا عَـجَـبَـا

(٢)

حَـاوَرْتُ . . دَاوَرْتُ إنّي هَـهنـا أبـداً
ولَـنْ أعــود، ولـوَ مـزّقْـتَنى إربَـا

وبَعْـدَ سَـاعـاتِ مَـرّتْ مِـثْلمَـا عُـمُـر
مـنَ السِّنين، وَقلبى نَازفٌ لهَـبَـا

عَـبَـرتُ مِنْ رَفحٍ، شـوقـا، إلىَ رَفَح
أغُـذُّ خَطْوِيَ، مُـشْـتَـاقـا، وَمُـقْـتـرِبَا

(٣)

أتيتُ غَـزَّةَ، أمـشي فى شَـوَارعـهـا
مَـضَـيَّعَ الـوَجـهِ، لا إسْـمَـاً، وَلا لَقَـبَـا

أدورُ فـيـهـا كَـمَـجْنُون يُدَلّـهُـهُ
حُبٌّ، أضَـاعَ بِهِ مِنْ عُـمْـرِهِ حِـقَـبـا

أسَـائِلُ الـرِّيـحَ، والأمـطـارَ عَـنْ ولـد
كَمْ فى شَـوَارعِـهـا، كَمْ دَارَكم لَعِـبَـا

كَمْ بَاكَـرَ الطَّيـرَ فى صُـبحٍ يُغـازلُهُ
وكَـمْ على الشَّـطِ، كَـمْ غَنَّى، وكـمْ وَثَبـا

(٤)

أهذهِ غَـزَّتِى، مَنْ كُنْتُ أعْـرفُـهـا
لا تقْـبَلُ الظُّلمَ، لاَ تسْـتَـمرِىءُ الغُـرَبَا

مـــا بالُهـــا طأطأتْ، للرِّيحِ وانْكَسَـــرَتْ
وَسَلَّمَتْ أمــرَها نَهــبَـــاً لِمَنْ نَهَـبَــا
أدورُ شَــرقـــاً، وغَـــرباً في أزقَـــتهـــا
أسَــائلُ الدَّورَ، والجُــدْرَانَ، وَالَخــشَـبَــا
عَــمَّنْ حَـمَلتُ لَهُمْ عُــمـري مَـحَـبتـهَم
وَمَـــا تَخَلَّفَ قَلبي عَنهــمــو ونَبَــا
كـــانوا أمـــام عُــيــوني، لا يُفـــارقُني
شَــوْقٌ تَجَــذَّرَ في الأعـــمـــاقِ وانْسَكَبَــا
وَكُنْتُ أزْهُو بِـهْم، أعلو بِذِكـــرِ هـمـــو
في إيَّمَـــا مَـــوْقِعٍ، أسْــمُـــو بِهِمْ نَسَـبَــا
وأعـــبـــرُ الآهلَ المَسْكُونَ مُنْدفَـــعـــاً
نَحـوَ الحَــوَاكـيـرِ، مُـشْـتَـاقـاً، وَمُنْجَـدِبَا
تَـدُوُر عَــــيْنَـايَ، فـى حُـــــزْنٍ وَفى وَجَعِ
تُحـــاورُ التِّينَ، والزَّيتــــونَ، والعِنَبَــــا
أغـــزةٌ هَـذِهِ، مَنْ كُنتُ أعـــرفُـــهـــا
شَــمَّـــاءَ لا تَرتَضى، ذلاً وَلا نَصَــبَـــا
عـــمـــراً قَـضَـيتُ، أغَنِّى فى مَـفَـاتنهـا
فى حُــبِّــهـــا، أبدعُ الأشــعـــارَ والأدَبَا
كَمْ تُقْتُ، مــا تَاقَ مِـثْلى «الشَّـافـعى» لهــا
وَحَنَّ منْ مكَةَ، شـــوقـــاً لهـــا، وَصَــبَـــا
فـــودَّ لو كُـــحِّلَتْ بالتُّـــرْبِ مُـــقْلتُـــهُ
مِنْهـــا، ونَاجى بِهـــا الإســـلامَ العَـــرَبَا

مـــا بالهُـــا مِـــثْلُ حَـسْنَاء مُـعَـفَـرَة
شَــــاخَتْ، وكُلُّ الذَّى أهواهُ قَــدْ خَــرِبَا

(٥)

هـذى المَدِيْنَـةُ، مــــــا نَـامَتْ ولا رَكَنَتْ
لظَالمٍ . . واســألوا التَّــاريخَ والكُتُـبَــا
رَدَّت زحـــوفَ الصَّليــبينَ وَانْتَـصَــرَتْ
عَليـهـمـو دَحَـرَتْ جـيشًـا لهمْ لَجِـبَـا
ويومَ دقَ «هـولاكـــو» بَابَهـــا وقَـــفَتْ
فى وَجـهـه، تُعْلِنُ العِـصْـيَانَ والغَـضَـبَـا
رَدَّتهُ مُنْهَـــزِمــــاً، رَاحَتْ تُـلاحـــقَـــهُ
«لعينِ جـالوت» حـتى أنْهـارَ وانْسَـحَـبـا

(٦)

وَقَـــفْتُ بالمَسْـــجِـد المعـمــور أسَـألُهُ
عَنِ الأحـــبـــة، مَنْ صلى، وَمَنْ خَطَبَـــا
وأســــتـــردُّ زمــــاناً، كُنْتُ أحـــمـلُه
بينَ الجَـــوَانحِ، مـــا ولّـى، ولا ذَهبـــا
أجىءُ «كُلّيــــتى» عَلّى أشــيمُ بـهــــا
منْ نَفْحِ أيامـــهــــا، بعضَ الذّى غَــرُبَا
أعـــيـــدُ ســـوقَ عُكَاظ بعضَ ذاكـــرتى
أيام كُنّا بِهـــا الشُّـــعــــراءَ والأدَبَا

وأستعيدُ لياليها، مجالسَها
وأبعثُ الرائعَ الماضي الذي حُجِبا

(٧)

هذي المدينةُ في الوجدانِ ساكنةٌ
هيهاتَ، ما هَمَّها مَنْ ضَلَّ أو كَذَبا
فيها البطولةُ، حَطَّتْ عندَ مَولدِها
تَطَاولَتْ أفرعًا، واخْضَوْضَرَتْ حَسَبا
مدينةٌ دوَّنَ التَّاريخُ قِصَّتَها
بما تَسَامتْ بهِ عِزًّا لها وإبَا
مدينةٌ في كتابِ المَجْدِ منزلُها
مخلدٌ بمِدَادِ النُّورِ قَدْ كُتِبَا

(٨)

أجيءُ بعدَ اغترابي، كَيفَ تُنكرُني
أحاولُ الجُهْدَ، أسْتَقري بِها السَّبَبَا
ماذا أغيَّرَها، بَعْدي وبدَّلَهَا
مَنْ حَطَّ في أرضِها ظُلمًا ومَن غَصَبَا
الإحْتِلالُ الذي قَاسَتْهُ صابرةً
وَعَفَّرتْ أنفَهُ، فانزاحَ واحْتَجَبَا
يومَ انتفاضَتِها في وَجْهِه وثَبَتْ
ما مِثْلَها عَرَفَ التَّاريخُ، أو كَتَبا

اللهُ أكــبــرُ زلزالٌ، وعــاصــفَــةٌ
أقــوى منَ الغَــادرِ البَــاغي، ومَــا جَلَبَــا
فــلا السِّــلاحُ الذّى وافــاهُ أعْــجَــزَها
ولا الجــيــوشُ ولا مَنْ جَــارَ وَاسْــتَلبَــا
ولا سِــيَــاسَــةُ تَكْسِــيــرِ العِظَامِ وَلا
مــا دَبَّرَ البَــغيُ فى ليلٍ ومَــا نَصَــبــا

مَــــدينتى ليسَ لى فى الكَونِ من بلدِ
ســواك، مــازلْتِ لي أُمــاً هُنا وأبا
أجيءُ طـالَ حَنينِي طالَ بِـي لَهَــفِي
أضَعْتُ عُـمْـري، مُشْـتَـاقَـا ومُـغْـتَـرِباً
ظَـلَـلْـتُ مِـنْ بَـلَـدٍ أمْــضي إلى بَـلَـدِ
أجُـرِّعُ الظُّلْمَ، والأحــزَانَ والسَّـغَــبــا
أجيءُ بعــدَ إغــتــرابي، والوَفَــاءُ مَــعي
حَــمَلْتُــه، وَحَــمَلتُ الإسم والنَّسَــبــا
هَــاتي يـديـكِ خُــــذيني إنَني تعبٌ
أتيتُ أنفضُ عَنِّي الحُــزنَ والتَّــعــبَــا

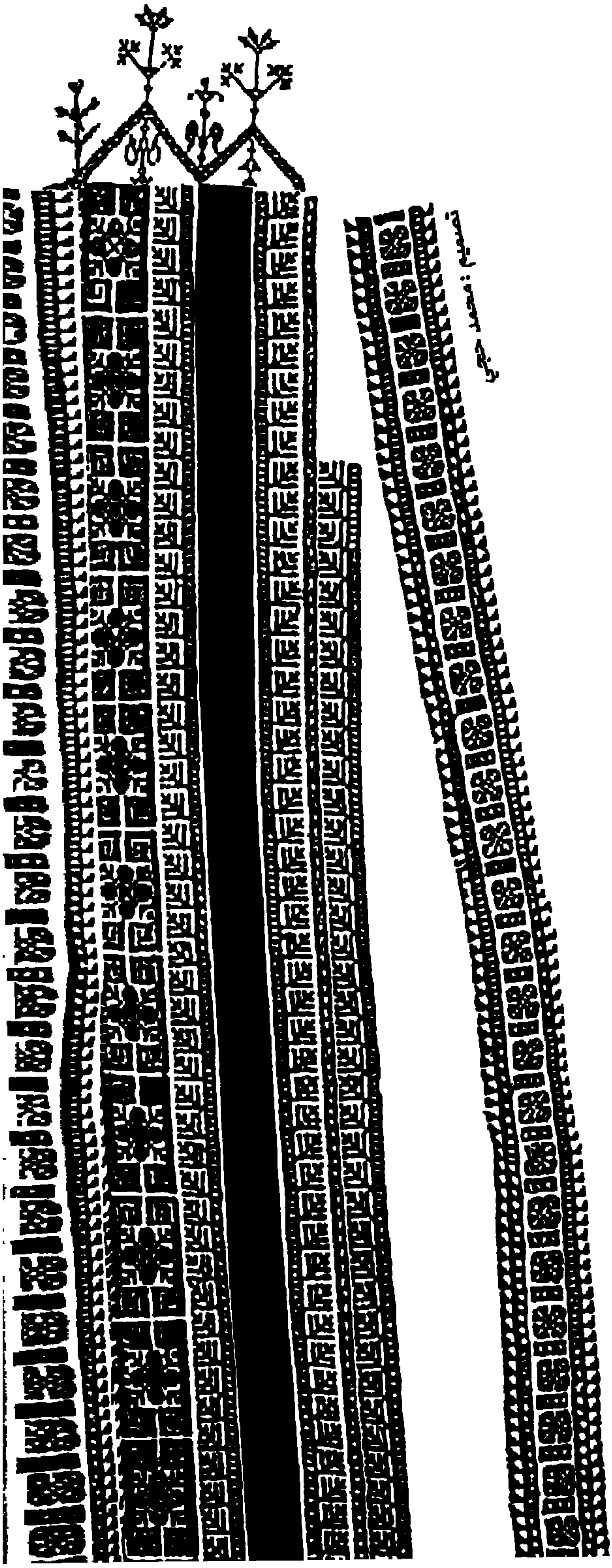
القاهرة ١٩٩٤

فهرست

رقم الإيداع ١٠٣٠٦/٩٨
الترقيم الدولى 977 - 09 - 0481 - 3

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥(٠١)



تصميم: محمد حجي

دار الشروق